جزء
١٣

أسرار النّفس البشريّة

بقلم
سيد تقي سيد حسين الموسوي
حفظه الله

كتاب
أسرار النفس البشريّة
الجزء ١٣

للمؤلف
سيّد تقي سيّد حسين الموسوي
حفظه الله

www.taqimusawi.com

٠٠٩٦٨٩٩٤١٩٤٦١

صندوق البريد ٩٣٠

الرمز البريدي ١١٤

سلطنة عُمان

المصادر

- كتاب معاذلة النفس وهو صحيفة من صحف نبيّ الله إدريس عليه السلام.
- كتاب قدوة الفقهاء والعارفين للمؤلف سيد تقي الموسوي حفظه الله.
- كتاب بوذا ونور الملكوت للمؤلف سيد تقي الموسوي حفظه الله.
- كتاب السموات السبع للمؤلف سيد تقي الموسوي حفظه الله.
- كتاب وحدة الإرادة في الوجود للمؤلف سيد تقي الموسوي حفظه الله.
- كتاب هكذا تكلّم عيسى عليه السلام للمؤلف سيد تقي الموسوي حفظه الله.

المحتويات

المصادر.....٤
المحتويات.....٥
العرفان بالجميل.....٧
المقدّمة.....٨
الرسول آخذ بحجزنا عن النار.....٥٣
إنما هي نفسي أروضها بالتقوى.....٥٦
أين الأمم الذين فتنتهم الدنيا بزخارفها.....٥٩
فكشفنا عنك غطاءك.....٦٢
هوان الدنيا.....٦٥
يا نفس إلى متى تسوّفين.....٧٠
ما أقلّ قرين الصدق.....٧٤
صوت الله فينا.....٧٨
غطرسة الشيطان ومكائده.....٨١
والسماء رفعها ووضع الميزان.....٨٦
صراع النفس والروح.....٨٨
أين الدنيا من الآخرة.....١٠٢
المتذمّرون لصوص الشرف.....١٠٤
أو من كان ميتًا فأحييناه.....١١٢
يا نفس ! أكملي مشوار السير والسلوك.....١١٥
مجد الجنة وجلالها و بهاؤها وعظمتها.....١١٨
الجنة تزهق لها أرواح الطيّبين شوقًا إليها.....١٢٤

العرفان بالجميل

أنا مدين جدًّا في كتبي الأخيرة، وعلى الخصوص هذا الكتاب (أسرار النفس البشريّة)، وأيضًا كتبي السابقة (هكذا تكلّم الإمام جعفر الصادق عليه السلام) و (ورفعناه مكانًا عليًّا) و(بوذا ونور الملكوت) و(هكذا تكلّم الله على لسان داود) و (هكذا ناجى داود ربه) و (كتاب محاورتي مع الشيخ علي المياحي) و (كتاب المباني الأساسيّة للطريقة الأويسيّة) الذي أُسّس بناءً على أسئلته، ذلك للسيد محمد الشوباصي من سوريا، حيث زوّدني بالمراجع القيّمة وساعدني كثيرًا في إتمام كتبي ومراجعتها وتصميمها ونشرها إلكترونيًّا عن طريق مواقع التواصل الاجتماعي والإنترنت. فالشكر له موصول لما آثرني به من خدمات قيّمة لا أنساها، وأسأل الله العليّ القدير أن يوفّقه في حياته في هذه الدنيا وفي الآخرة إنّه سميع مجيب الدعاء.

وأيضًا أشكر زهير من دبي في الإمارات العربيّة المتحدة وجهاد من البحرين لوضع موقع إلكتروني لكتبي، ولا أعرف حقيقة كيف أشكرهما على مأثرة الإيثار التي يتحلّان بها رغم مشاغلهما الكثيرة. فقد ساعداني كثيرًا في نشر كتبي وسهّلا للقارئ العربي الوصول إلى هذه الكتب. فالشكر موصول لهما إلى الأبد وأتمنّى لهما من كلّ قلبي التوفيق في الدنيا والآخرة.

المقدّمة

يا نفسُ ! إن ورودك إلى عالم الطبيعة كمثل ورودك إلى ساحة حرب لقتال عدوّ شرس، حيث تتوقّعين إما الأسر وإما القتل، ولا تتوقّعين هزيمة العدوّ اللدود.

يا نفسُ ! إن هذا العدوّ باطنه سمّ زعاف، لكن ظاهره يخدع الكثيرين، بل يبهجهم ويسرّهم منظره، وتستحوذ عليهم ملذّاته، وتبهرهم مناظره الخلّابة، ويستهويهم مخدعه ومضجعه الناعم، ويستسيغون طعمه وذائقته، ويسكرهم شرابه.

يا نفسُ ! إنما الكثيرون في حضور هذا العدوّ الخدّاع عبيد مستسلمون، وأرقّاء منهزمون، وأذلّاء منكسرون، تستهويهم ذلّة عبوديته، ويحسبون سيفه عمودًا من عسل، حلوة مذاقه، جذّابة منظره.

يا نفسُ ! إنما هم يحسبون سيفه البتّار وأدوات فتكه عصا سحريّة، ناعمًا ملمسها، يتهافتون على أدوات فتكه كما تتهافت الفراش والجنادب على النار.

يا نفسُ ! يقول رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم لأصحابه: "مَثَلِي وَمَثَلُكُمْ كَمَثَلِ رَجُلٍ أَوْقَدَ نَارَاً فَجَعَلَ الفِرَاشَ وَالجَنَادِبَ يَقَعْنَ فِيْهَا وَهُوَ يَذُبُّهُنَّ عَنْهَا، وَأَنَا آخُذُ بِحُجَزِكُمْ عَنِ النَّارِ، وَأَنْتُمْ تُفْلِتُونَ مِنْ يَدِي".

يا نفسُ ! إنما الطبيعة أو الدنيا نار يستعذب الكثيرون من البشر لهيبها، وتنبهر عيونهم من أضوائها وألوانها، ويقاتلون بعضهم بعضًا للوقوع في أتونها !

يا نفسُ ! وإنما العقل أو عشق الله كنوز لو عرفها الملوك وأبناء الملوك لقاتلوا بعضهم بعضًا عليها.

يا نفسُ ! إنما مجاهدة الطبيعة أو الدنيا أو النفس هي حرب إغواء وإغراء، يقع الكثيرون من البشر في شباكها، ولا يجدون إلى الانفلات من الشباك سبيلًا.

يا نفسُ ! إنما الطبيعة أو الدنيا أو النفس مثلها كمثل غانية حسناء، لبست أحسن زينتها وأبرزت محاسنها ومفاتنها، يقع في حبائلها ناس كثيرون، تغريهم بجمالها، وتغويهم بمحاسنها ومفاتنها، وتأسر قلوبهم بغنجها ودلالها.

يا نفسُ ! إنما الطبيعة أو الدنيا أو النفس مثلها كمثل العسل المصفّى، يجذب الذباب والنمل بحلاوته، فتنجذب إليه وتأكل منه، ثم تقع فيه هالكة، لا تستطيع الخروج منه.

يا نفسُ ! لو كان جهاد النفس حربًا عاديّة بالسيوف والرماح، لسهل الجهاد واسترحت بقتل عدوّك، لكنها حرب ناعمة لا يمكن ولا يجوز قتل عدوّك فيها، فإن أهلكتها هلكت، ولا مجال للنصر عليها، ولا يمكن هزيمتها إلّا بترويضها، كما يروّض الإنسان فيلًا وحشيًّا.

واستمعي يا نفسُ ! إلى ما يقوله السيد حسين العالم قدّس سرّه، شارحًا أسباب تسميته بالجهاد الأكبر:-

"فقتل الكفار بالسيوف وتضحية النفس في الحروب جهاد أصغر، ومحاربة النفس ومقارعة الشيطان جهاد أكبر. والسبب في ذلك أن في جهاد النفس عدوّك في داخلك، ولهذا العدوّ مكائد كثيرة، وهذه المكائد خفيّة ودقيقة جدًّا تتناسب مع مشرب كل واحد منكم.

إضافة إلى ذلك، إن القوى والجوارح التي يتمتّع بها العدوّ في داخل النفس الإنسانية، هي نفس القوى والجوارح التي يجب على العقل استعمالها في دفع ذلك العدوّ اللدود.

وعلاوة على ذلك، إن في الجهاد الخارجي قتل العدوّ وهلاكه مفيد وليس مضرًّا، في حين أن في الجهاد الداخلي هلاك العدوّ غير جائز، لأن العدوّ هنا عبارة عن النفس، وإذا هلكت النفس هلك الإنسان. ولكن يجب جهاد النفس بأسلوب يجعلها مطيعة للأحكام الإلهية. فلذلك لم يقل الرسول الأكرم ص بأنه قتل شيطانه، بل قال: "أسلم شيطاني على يدي وأعانني الله عليه".

يا نفسُ ! ويقول عليّ عليه السلام في كتاب له إلى عثمان بن حنيف الأنصاري وهو عامله على البصرة: وإنما هي نفسي أروضها بالتقوى لتأتي آمنة يوم الخوف الأكبر، وتثبت على جوانب المزلق.

ومن هذا الكتاب وهو آخره:

إِلَيْكِ عَنِّي يَا دُنْيَا فَحَبْلُكِ عَلَى غَارِبِكِ، قَدِ انْسَلَلْتُ مِنْ مَخَالِبِكِ، وأَفْلَتُّ مِنْ حَبَائِلِكِ، واجْتَنَبْتُ الذَّهَابَ فِي مَدَاحِضِكِ.

أَيْنَ الْقُرُونُ الَّذِينَ غَرَرْتِهِمْ بِمَدَاعِبِكِ، أَيْنَ الأُمَمُ الَّذِينَ فَتَنْتِهِمْ بِزَخَارِفِكِ، فَهَا هُمْ رَهَائِنُ الْقُبُورِ ومَضَامِينُ اللُّحُودِ.

واللَّه لَوْ كُنْتِ شَخْصاً مَرْئِيّاً وقَالَباً حِسِّيّاً، لأَقَمْتُ عَلَيْكِ حُدُودَ اللَّه فِي عِبَادٍ غَرَرْتِهِمْ بِالأَمَانِيِّ، وأُمَمٍ أَلْقَيْتِهِمْ فِي الْمَهَاوِي، ومُلُوكٍ أَسْلَمْتِهِمْ إِلَى التَّلَفِ، وأَوْرَدْتِهِمْ مَوَارِدَ الْبَلَاءِ إِذْ لَا وِرْدَ ولَا صَدَرَ.

هَيْهَاتَ ! مَنْ وَطِئَ دَحْضَكِ زَلِقَ، ومَنْ رَكِبَ لُجَجَكِ غَرِقَ، ومَنِ ازْوَرَّ عَنْ حَبَائِلِكِ وُفِّقَ، والسَّالِمُ مِنْكِ لَا يُبَالِي إِنْ ضَاقَ بِه مُنَاخُه، والدُّنْيَا عِنْدَه كَيَوْمٍ حَانَ انْسِلَاخُه اعْزُبِي عَنِّي فَوَ اللَّه لَا أَذِلُّ لَكِ فَتَسْتَذِلِّينِي، ولَا أَسْلَسُ لَكِ فَتَقُودِينِي.

وَأَيْمُ اللهِ - يَمِيناً أَسْتَثْنِي فِيهَا بِمَشِيئَةِ اللهِ - لأَرُوضَنَّ نَفْسِي رِيَاضَةً تَهُشُّ مَعَهَا إِلَى الْقُرْص إِذَا قَدَرْتُ عَلَيْهِ مَطْعُوماً، وَتَقْنَعُ بِالْمِلْحِ مَأْدُوماً، وَلأَدَعَنَّ مُقْلَتِي كَعَيْنِ مَاء نَضَبَ مَعِينُهَا، مُسْتَفْرِغَةً دُمُوعُهَا.

أَتَمْتَلِئُ السَّائِمَةُ مِنْ رِعْيِهَا فَتَبْرُكَ، وتَشْبَعُ الرَّبِيضَةُ مِنْ عُشْبِهَا فَتَرْبِضَ، ويَأْكُلُ عَلِيٌّ مِنْ زَادِه فَيَهْجَعَ ؟ قَرَّتْ إِذاً عَيْنُه إِذَا اقْتَدَى بَعْدَ السِّنِينَ الْمُتَطَاوِلَةِ بِالْبَهِيمَةِ الْهَامِلَةِ والسَّائِمَةِ الْمَرْعِيَّةِ !

طُوبَى لِنَفْسٍ أَدَّتْ إِلَى رَبِّهَا فَرْضَهَا، وعَرَكَتْ بِجَنْبِهَا بُؤْسَهَا، وهَجَرَتْ فِي اللَّيْلِ غُمْضَهَا، حَتَّى إِذَا غَلَبَ الْكَرَى عَلَيْهَا، افْتَرَشَتْ أَرْضَهَا، وتَوَسَّدَتْ كَفَّهَا، فِي مَعْشَرٍ أَسْهَرَ عُيُونَهُمْ خَوْفُ مَعَادِهِمْ، وتَجَافَتْ عَنْ مَضَاجِعِهِمْ جُنُوبُهُمْ، وهَمْهَمَتْ بِذِكْرِ رَبِّهِمْ شِفَاهُهُمْ، وتَقَشَّعَتْ بِطُولِ اسْتِغْفَارِهِمْ ذُنُوبُهُمْ، أُولئِكَ حِزْبُ الله، أَلا إِنَّ حِزْبَ الله هُمُ الْمُفْلِحُونَ.

فَاتَّقِ اللَّه يَا ابْنَ حُنَيْفٍ، ولْتَكْفُفْ أَقْرَاصُكَ، لِيَكُونَ مِنَ النَّارِ خَلَاصُكَ.

يا نفسُ ! إنك لا تميّزين خطورة الدنيا إلا عندما تضعينها في كفّة ميزان وتضعين حياتك الخالدة في الآخرة في كفّة أخرى. ولدت في عالم الطبيعة بنفس هي من عجينة الطبيعة.

يا نفسُ ! لقد قال الله تعالى: <وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ* إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ* مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ* وَجَاءتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ* وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ذَلِكَ يَوْمُ الْوَعِيدِ* وَجَاءتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ* لَقَدْ كُنتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَاءكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ>[1].

[1]: [ق : ١٦ - ٢٢].

يا نفسُ ! إنك الطبيعة وإنك الدنيا وإنك النفس، ويشهد الله إني أخاطبك وأناصحك وأعاذلك ولا أتركك، حتى تستقيمي على حبّ الله، وحتى تخرجي من قوقعة الجهالة إلى العالم الرحب من المعرفة وعشق الله، وحتى تخرجي من ضيق حبّ الدنيا إلى أعلى علّيّين من حبّ الله.

يا نفسُ ! مالك ! كلّما عاذلتك وناصحتك ما سمعت كلامي، وإذا سمعت كلامي ما وعيته، وإذا وعيته ما استقمت على تطبيقه، وإذا طبّقته ما ثبتّ على ذلك، وما ثابرت عليه، وما صبرت عليه ! كأن الشيطان دائمًا وراءك يوسوس بك أن ترجعي عن طريق الصواب، وتطمئنّي بالحياة الدنيا !

يا نفسُ ! إنك لا تستقيمين على مشيئة ربّك، كأنك في واد، هو الجهل بعينه، وإرادة الله ومشيئته في واد، هو الحكمة والعزّة بعينها ! فلماذا لا تتناغمين مع مشيئة الوجود البحت البسيط وإرادته ؟ ولماذا لا تحبّين أن يختار لك الله ما يشاء من قضائه، وهو واقع بك أردت ذلك أو أبيت ! ولماذا لا تحبّين أن يبارك لك الله من قدره، والقدر حتم محتوم، فلماذا لا تريدين البركة في قدر الله ؟

يا نفسُ ! إنك أصعب من الفيل المتوحّش، فكم يعاني الفيل من عذاب ومعاناة تحت ترويض أصحابه، حتى يستقيم على مشيئتهم ! وإن ترويضك يا نفسُ لأصعب بكثير، فوحشيّتك فاقت وحشيّة الفيل المتوحّش !

يا نفسُ ! يقول الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ لاَ يَرْجُونَ لِقَاءنَا وَرَضُواْ بِالْحَياةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنُّواْ بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ﴾[1].

[1]: [يونس : ٧].

يا نفسُ ! مالك تميلين إلى الدنيا، ولا ترجين لقاء الله، وترضين بالحياة الدنيا وتطمئنّين بها، وأنت عارفة أنها زائلة فانية، وعن قريب عنها راحلة، غدّارة بأهلها، مُنْقَطِعَةٌ بَالِيَةٌ فَانِيَةٌ، وَالِارْتِحَالَ مِنها حَثِيثٌ قَرِيبٌ، وَإِنَّهُ وَإِنْ طَالَ الْعُمُرُ فِيهَا فَإِنَّ الْمَوْتَ نَازِلٌ، وَالظَّاعِنَ لَا مَحَالَةَ رَاحِلٌ. أَعْمَارها قَصِيرَة، وَحُتُوفها رَاصِدَة، وَسِهَامها قَاصِدَة، وَأَبْدَانها ضَعِيفَة مُسْتَسْلِمَة، غَيْرَ مُمْتَنِعَةٍ وَ لَا حَصِينَةٍ.

يا نفسُ ! لقد جاء في قصّة بوذا وهو ابن الملك ما يلي:-

قَالَ ابْنُ الْمَلِكِ زِدْنِي أَيُّهَا الْحَكِيمُ تَزْهِيداً فِي الدُّنْيَا وَ أَخْبِرْنِي بِحَالِهَا.

قال الحكيم واسمه بلوهر يا ابن الملك إن الدنيا لا تعدو أن تكون كما نعت الله عز وجل لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الأموال والأولاد.

وقَالَ إِنِّي لَمَّا رَأَيْتُ الدُّنْيَا دَارَ تَصَرُّفٍ وَ زَوَالٍ، وَ تَقَلُّبٍ مِنْ حَالٍ إِلَى حَالٍ، وَرَأَيْتُ أَهْلَهَا فِيهَا أَغْرَاضاً لِلْمَصَائِبِ، وَ رَهَائِنَ لِلْمَتَالِفِ، وَرَأَيْتُ صِحَّةً بَعْدَهَا سُقْماً، وَشَبَاباً بَعْدَهُ هَرَماً، وَغِنًى بَعْدَهُ فَقْراً، وَفَرَحاً بَعْدَهُ حُزْناً، وَعِزّاً بَعْدَهُ ذُلًّا، وَرَخَاءً بَعْدَهُ شِدَّةً، وَأَمْناً بَعْدَهُ خَوْفاً، وَحَيَاةً بَعْدَهَا مَمَاتاً، وَرَأَيْتُ أَعْمَاراً قَصِيرَةً، وَحُتُوفاً رَاصِدَةً، وَسِهَاماً قَاصِدَةً، وَأَبْدَاناً ضَعِيفَةً مُسْتَسْلِمَةً غَيْرَ مُمْتَنِعَةٍ وَ لَا حَصِينَةٍ، عَرَفْتُ أَنَّ الدُّنْيَا مُنْقَطِعَةٌ بَالِيَةٌ فَانِيَةٌ، وَعَرَفْتُ بِمَا ظَهَرَ لِي مِنْهَا مَا غَابَ عَنِّي مِنْهَا، وَعَرَفْتُ بِظَاهِرِهَا بَاطِنَهَا، وَغَامِضَهَا بِوَاضِحِهَا، وَسِرَّهَا بِعَلَانِيَتِهَا، وَصُدُورَهَا بِوُرُودِهَا.

فَحَذَرْتُهَا لِمَا عَرَفْتُهَا، وَفَرَرْتُ مِنْهَا لِمَا أَبْصَرْتُهَا.

يا نفسُ ! بَيْنَا تَرَى الْمَرْءَ فِيهَا مُغْتَبِطاً مَحْبُوراً، وَمَلِكاً مَسْرُوراً، فِي خَفْضٍ وَدَعَةٍ وَنِعْمَةٍ وَسَعَةٍ، فِي بَهْجَةٍ مِنْ شَبَابِهِ، وَحَدَاثَةٍ مِنْ سِنِّهِ، وَغِبْطَةٍ مِنْ مُلْكِهِ، وَبَهَاءٍ مِنْ سُلْطَانِهِ، وَصِحَّةٍ مِنْ بَدَنِهِ، إِذَا انْقَلَبَتِ الدُّنْيَا بِهِ أَسَرَّ مَا كَانَ فِيهَا نَفْساً، وَأَقَرَّ مَا كَانَ فِيهَا عَيْناً، فَأَخْرَجَتْهُ مِنْ

مُلْكِهَا وَغِبْطَتِهَا وَخَفْضِهَا وَدَعَتِهَا وَبَهْجَتِهَا، فَأَبْدَلَتْهُ بِالْعِزِّ ذُلًّا، وَ بِالْفَرَحِ تَرَحاً، وَ بِالسُّرُورِ حُزْناً، وَبِالنِّعْمَةِ بُؤْساً، وَبِالْغِنَى فَقْراً، وَبِالسَّعَةِ ضِيقاً، وَبِالشَّبَابِ هَرَماً، وَبِالشَّرَفِ ضَعَةً، وَبِالْحَيَاةِ مَوْتاً.

لكان أبعد غايته مائة سنة، حتى يبلى جسده، ويتغيّر لونه وشعره، ويترهّل خلقه ولحمه وقوّته وبصره، ويفارقه أهله وأحبّاؤه، ويذلّ عزّه، ويمحى سلطانه.

وأبعد الغاية لما يخلّف ثلاثمائة عام، حتى يصير ما جمع متفرّقًا، وما عمل متبدّدًا، وما شيّد خرابًا، ويصير اسمه مجهولًا، وذكره منسيًّا، وحسبه خاملًا، وشرف عقبه وولده حقيرًا، وما يغني عنه وبالًا، وما كسب خبالًا، ويرث سلطانه ولاة الأمور على الأزمان، ويرث ماله من يسوقه إليه وتنساق الأرزاق والمواريث من الأوّل إلى الآخر .

يا نفسُ ! قال الحكيم: فَدَلَّتْهُ فِي حُفْرَةٍ ضَيِّقَةٍ شَدِيدَةِ الْوَحْشَةِ، وَحِيداً فَرِيداً غَرِيباً، قَدْ فَارَقَ الْأَحِبَّةَ وَ فَارَقُوهُ، وَخَذَلَهُ إِخْوَانُهُ، فَلَمْ يَجِدْ عِنْدَهُمْ مَنْعاً، وَغَرَّهُ أَعْدَاؤُهُ، فَلَمْ يَجِدْ عِنْدَهُمْ دَفْعاً، وَصَارَ عِزُّهُ وَمُلْكُهُ وَأَهْلُهُ وَمَالُهُ نُهْبَةً مِنْ بَعْدِهِ، كَأَنْ لَمْ يَكُنْ فِي الدُّنْيَا، وَلَمْ يَذْكُرْ فِيهَا سَاعَةً قَطُّ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ فِيهَا خَطَرٌ، وَلَمْ يَمْلِكْ مِنَ الْأَرْضِ حَظّاً قَطُّ.

فَلَا تَتَّخِذُهَا يَا ابْنَ الْمَلِكِ دَاراً، وَلَا تَتَّخِذَنَّ فِيهَا عُقْدَةً وَلَا عَقَاراً، فَأُفٍّ لَهَا وَ تُفٍّ !

يا نفسُ ! قَالَ ابْنُ الْمَلِكِ أُفٍّ لَهَا وَ لِمَنْ يَغْتَرُّ بِهَا إِذَا كَانَ هَذَا حَالَهَا !

وَ رَقَّ ابْنُ الْمَلِكِ، وَقَالَ زِدْنِي أَيُّهَا الْحَكِيمُ مِنْ حَدِيثِكَ، فَإِنَّهُ شِفَاءٌ لِمَا فِي صَدْرِي.

يا نفسُ ! قَالَ الْحَكِيمُ إِنَّ الْعُمُرَ قَصِيرٌ، وَاللَّيْلَ وَالنَّهَارَ يُسْرِعَانِ فِيهِ، وَالِارْتِحَالَ مِنَ الدُّنْيَا حَثِيثٌ قَرِيبٌ، وَإِنَّهُ وَإِنْ طَالَ الْعُمُرُ فِيهَا فَإِنَّ الْمَوْتَ نَازِلٌ، وَالظَّاعِنَ لَا مَحَالَةَ رَاحِلٌ.

فَيَصِيرُ مَا جَمَعَ فِيهَا مُفَرَّقاً، وَمَا عَمِلَ فِيهَا مُتَبَّراً، وَمَا شَيَّدَ فِيهَا خَرَاباً، وَيَصِيرُ اسْمُهُ مَجْهُولًا، وَذِكْرُهُ مَنْسِيّاً، وَحَسَبُهُ خَامِلًا، وَجَسَدُهُ بَالِياً، وَشَرَفُهُ وَضِيعاً، وَنِعْمَتُهُ وَبَالًا، وَكَسْبُهُ خَسَاراً، وَيُورَثُ سُلْطَانُهُ، وَيُسْتَذَلُّ عَقِبُهُ، وَيُسْتَبَاحُ حَرِيمُهُ، وَتُنْقَضُ عُهُودُهُ، وَتُخْفَرُ ذِمَّتُهُ، وَتُدْرَسُ آثَارُهُ، وَيُوَزَّعُ مَالُهُ، وَيُطْوَى رَحْلُهُ، وَيَفْرَحُ عَدُوُّهُ، وَيَبِيدُ مُلْكُهُ، وَيُورَثُ تَاجُهُ، وَيُخْلَفُ عَلَى سَرِيرِهِ.

وَيُخْرَجُ مِنْ مَسَاكِنِهِ مَسْلُوباً مَخْذُولًا، فَيُذْهَبُ بِهِ إِلَى قَبْرِهِ، فَيُدْلَى فِي حُفْرَتِهِ، فِي وَحْدَةٍ وَغُرْبَةٍ وَظُلْمَةٍ وَ وَحْشَةٍ وَمَسْكَنَةٍ وَذِلَّةٍ، قَدْ فَارَقَ الْأَحِبَّةَ، وَأَسْلَمَتْهُ الْعَصَبَةُ، فَلَا تُؤْنَسُ وَحْشَتُهُ أَبَداً، وَلَا تُرَدُّ غُرْبَتُهُ أَبَداً.

يا نفسُ ! قال الحكيم: فلما رأيت كل مجموع متفرقًا، وكل مكسوب مسلوبًا، إلا التقوى وعمل البرّ، الذي لا يسلب ولا يبلى ولا يهلك، رأيت أن أوجّه رأيي وهواي ومحبّتي وقولي إلى عمل البرّ والتقوى، فإنه أفضل ما نحن مكتسبوه من المكاسب، وأفضل ما نحن معتقدوه هي القوة على أعمال البرّ، والاجتناب لأعمال الشرّ، والتصديق بالله عز وجل.

يا نفسُ ! وقال الحكيم: فذلك هو الكسب الذي اكتسبت، والعقدة التي اعتقدتها، ولم أزل مذ أبصرت ذلك أحبّ العمل بما قدرت عليه من الخير، واجتناب ما قدرت على اجتنابه من الشرّ، مع التصديق بوعد ربّي تبارك وتعالى، واليقين والإيمان بالبعث والجنّة والنار.

يا نفسُ ! لو وعيت ما أقوله وطبّقته وتحمّلته وثابرت عليه وصبرت عليه، عملًا صالحًا خالصًا مخلصًا لله، يؤدّي بك إلى قلب سليم طاهر مطهّر لا يوجد فيه إلّا الله الواحد الأحد الصمد، لكان هذا العمل الصالح قرين الصدق لك، ينفعك حيث لا ينفع مال ولا بنون إلّا من أتى الله بقلب سليم.

يا نفسُ ! إن هذا العمل الصالح سوف ينفعك في يوم البكاء والنحيب، حيث تخرج روحك، وتدخلين ظلمة قبرك وضيق لحدك، حيث يتركك أحبّتك وأقاربك، وحيدة فريدة، لا مونس فيه ولا أنيس ولا جليس، تواجهين فيه سؤال منكر ونكير.

يا نفسُ ! إن هذا العمل الصالح سوف ينفعك في يوم تخرجين فيه من قبرك عريانة ذليلة، حاملة ثقلك على ظهرك، تنظرين مرّة عن يمينك وأخرى عن شمالك، إذ الخلائق في شأن غير شأنك، لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ، وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ، ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ، وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ، تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ[1]، وذلّة.

يا نفسُ ! إن هذا العمل الصالح سوف ينفعك في يوم كربتك عند موتك، ووحدتك في قبرك، ووحشتك في لحدك، وذلّ موقفك إذا نشرت للحساب بين يدي الله عزّ وجلّ.

يا نفسُ ! إن هذا العمل الصالح سوف ينفعك في يوم تكونين فيه صريعة على الفراش تقلّبك أيدي أحبّتك، وممدودة على المغتسل يقلّبك صالح جيرتك، ومحمولة قد تناول الأقرباء أطراف جنازتك، ومنقولة قد نزلت بالله وحيدة في حفرتك، وغريبة في بيتك الجديد، لا تحملين من دنياك غير كفن على جسدك العاري.

ولله درّ الشاعر حيث يقول على لسان حال هذا البائس:

مَـــاذَا تُرَانِي فَاعِـــلٌ بِإِسَـــارَتِي ... فِي ضِيقِ لَحْدِي وَانْكِمَاشِ ثَرَاهـا

وَصَحِبْـتُ فِيـهِ مِـنْ مَتَـاعِ دَنِيَّـةٍ ... كَفَناً عَلَى جِسْمِي وَرُخْصَ رِدَاها

هَـلْ لِي بِرَجْعَـةَ لا لِأَعْمُـرَ مَـنْزِلاً ... بَـلْ كَيْ لِأَعْمُـرَ زَادَ يَـوْمِ جَزَاهـا

---

[1]: [عبس : ٣٧ - ٤١].

يا نفسُ ! إن هذا العمل الصالح سوف ينفعك في يوم قد أوحشتك فيه العوالم، ولم يبق لك إلّا العمل الصالح والقلب السليم، حيث لا ينفعك مال ولا بنون إلّا من أتى الله بقلب سليم.

يا نفسُ ! إني لك ناصح أمين، فاتّبعي نصحي. إلى متى تسوّفين ! وهل أنت يا ترى في الدنيا تأملين ! وهل أنت حقًّا على هذا الغباء الفاحش، بحيث تأملين في دنيا قد رأيت بأمّ عينيك كيف فعلت وتفعل بأهلها ! ها هم رهائن القبور، ومضامين اللحود.

يا نفسُ ! إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ* إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ[1]. فهل يا ربّي وسيّدي ومولاي قد جعلتني منهم ؟ وهل يا ترى كتبتني منهم في لوحك المحفوظ ؟ من الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحقّ وتواصوا بالصبر !

يَا حَلِيمُ يَا كَرِيمُ يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ يَا غافِرَ الذَّنْبِ يَا قابِلَ التَّوْبِ يَا عَظِيمَ الْمَنِّ يَا قَدِيمَ الإِحسانِ. أَيْنَ سِتْرُكَ الْجَمِيلُ، أَيْنَ عَفْوُكَ الْجَلِيلُ، أَيْنَ فَرَجُكَ الْقَرِيبُ، أَيْنَ غِياثُكَ السَّرِيعُ، أَيْنَ رَحْمَتُكَ الْواسِعَةُ، أَيْنَ عَطاياكَ الْفاضِلَةُ، أَيْنَ مَواهِبُكَ الْهَنِيئَةُ، أَيْنَ صَنائِعُكَ السَّنِيَّةُ، أَيْنَ فَضْلُكَ الْعَظِيمُ، أَيْنَ مَنُّكَ الْجَسِيمُ، أَيْنَ إِحْسانُكَ الْقَدِيمُ، أَيْنَ كَرَمُكَ يَا كَرِيمُ !

يا نفسُ ! قَالَ بِلَوْهَرُ زَعَمُوا أَنَّ رَجُلًا كَانَ لَهُ ثَلَاثَةُ قُرَنَاءَ، وَكَانَ قَدْ آثَرَ أَحَدَهُمْ عَلَى النَّاسِ جَمِيعاً، وَيَرْكَبُ الْأَهْوَالَ وَالْأَخْطَارَ بِسَبَبِهِ، وَيُغَرِّرُ بِنَفْسِهِ لَهُ، وَيُشْغَلُ لَيْلَهُ وَنَهَارَهُ فِي حَاجَتِهِ.

وَكَانَ الْقَرِينُ الثَّانِي دُونَ الْأَوَّلِ مَنْزِلَةً، وَهُوَ عَلَى ذَلِكَ حَبِيبٌ إِلَيْهِ أَمِيرٌ عِنْدَهُ، يُكْرِمُهُ وَيُلَاطِفُهُ وَيَخْدُمُهُ وَيُطِيعُهُ وَيَبْذُلُ لَهُ وَ لَا يَغْفُلُ عَنْهُ.

---

[1]: [العصر : ٢ - ٣].

وَكَانَ الْقَرِينُ الثَّالِثُ مَجْفُوّاً مَحْقُوراً مُسْتَثْقِلًا لَيْسَ لَهُ مِنْ وُدِّهِ وَ مَالِهِ إِلَّا أَقَلُّهُ، حَتَّى إِذَا نَزَلَ بِالرَّجُلِ الْأَمْرُ الَّذِي يَحْتَاجُ فِيهِ إِلَى قُرَنَائِهِ الثَّلَاثَةِ، فَأَتَاهُ زَبَانِيَةُ الْمَلِكِ لِيَذْهَبُوا بِهِ، فَفَزِعَ إِلَى قَرِينِهِ الْأَوَّلِ فَقَالَ لَهُ قَدْ عَرَفْتَ إِيثَارِي إِيَّاكَ وَبَذْلَ نَفْسِي لَكَ، وَهَذَا الْيَوْمُ يَوْمُ حَاجَتِي إِلَيْكَ فَمَا ذَا عِنْدَكَ ؟

قَالَ مَا أَنَا لَكَ بِصَاحِبٍ، وَإِنَّ لِي أَصْحَاباً يَشْغَلُونِّي عَنْكَ، هُمُ الْيَوْمَ أَوْلَى بِي مِنْكَ، وَلَكِنْ لَعَلِّي أُزَوِّدُكَ ثَوْبَيْنِ لِتَنْتَفِعَ بِهِمَا.

ثُمَّ فَزِعَ إِلَى قَرِينِهِ الثَّانِي ذِي الْمَحَبَّةِ وَاللُّطْفِ، فَقَالَ لَهُ قَدْ عَرَفْتَ كَرَامَتِي إِيَّاكَ وَلُطْفِي بِكَ وَ حِرْصِي عَلَى مَسَرَّتِكَ، وَهَذَا يَوْمُ حَاجَتِي إِلَيْكَ، فَمَا ذَا عِنْدَكَ ؟

فَقَالَ إِنَّ أَمْرَ نَفْسِي يَشْغَلُنِي عَنْكَ وَعَنْ أَمْرِكَ، فَاعْمِدْ لِشَأْنِكَ، وَاعْلَمْ أَنَّهُ قَدِ انْقَطَعَ الَّذِي بَيْنِي وَ بَيْنَكَ، وَأَنَّ طَرِيقِي غَيْرُ طَرِيقِكَ، إِلَّا أَنِّي لَعَلِّي أَخْطُو مَعَكَ خُطُوَاتٍ يَسِيرَةً لَا تَنْتَفِعُ بِهَا، ثُمَّ أَنْصَرِفُ إِلَى مَا هُوَ أَهُمُّ إِلَيَّ مِنْكَ.

ثُمَّ فَزِعَ إِلَى قَرِينِهِ الثَّالِثِ الَّذِي كَانَ يُحَقِّرُهُ وَ يَعْصِيهِ وَلَا يَلْتَفِتُ إِلَيْهِ أَيَّامَ رَخَائِهِ، فَقَالَ لَهُ إِنِّي مِنْكَ لَمُسْتَحٍ، وَلَكِنَّ الْحَاجَةَ اضْطَرَّتْنِي إِلَيْكَ، فَمَاذَا لِي عِنْدَكَ ؟

قَالَ لَكَ عِنْدِي الْمُوَاسَاةُ وَالْمُحَافَظَةُ عَلَيْكَ وَقِلَّةُ الْغَفْلَةِ عَنْكَ، فَأَبْشِرْ وَقَرَّ عَيْناً، فَإِنِّي صَاحِبُكَ الَّذِي لَا يَخْذُلُكَ وَلَا يُسْلِمُكَ، فَلَا يُهِمَّنَّكَ قِلَّةُ مَا أَسْلَفْتَنِي وَاصْطَنَعْتَ إِلَيَّ، فَإِنِّي قَدْ كُنْتُ أَحْفَظُ لَكَ ذَلِكَ، وَأُوَفِّرُهُ عَلَيْكَ كُلَّهُ، ثُمَّ لَمْ أَرْضَ لَكَ بَعْدَ ذَلِكَ حَتَّى اتَّجَرْتُ لَكَ بِهِ، فَرَبِحْتُ أَرْبَاحاً كَثِيرَةً، فَلَكَ الْيَوْمَ عِنْدِي مِنْ ذَلِكَ أَضْعَافُ مَا وَضَعْتَ عِنْدِي مِنْهُ.

فَأَبْشِرْ ! وَإِنِّي أَرْجُو أَنْ يَكُونَ فِي ذَلِكَ رِضَا الْمَلِكِ عَنْكَ الْيَوْمَ وَ فَرَجاً مِمَّا أَنْتَ فِيهِ.

فَقَالَ الرَّجُلُ عِنْدَ ذَلِكَ مَا أَدْرِي عَلَى أَيِّ الْأَمْرَيْنِ أَنَا أَشَدُّ حَسْرَةً عَلَيْهِ، عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي الْقَرِينِ الصَّالِحِ، أَمْ عَلَى مَا اجْتَهَدْتُ فِيهِ مِنَ الْمَحَبَّةِ لِقَرِينِ السَّوْءِ.

يا نفسُ ! قَالَ بِلَوْهَرُ فَالْقَرِينُ الْأَوَّلِ هُوَ الْمَالُ، وَالْقَرِينُ الثَّانِي هُوَ الْأَهْلُ وَالْوَلَدُ، وَالْقَرِينُ الثَّالِثُ هُوَ الْعَمَلُ الصَّالِحُ.

يا نفسُ ! قَالَ ابْنُ الْمَلِكِ إِنَّ هَذَا هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ، فَزِدْنِي مَثَلًا لِلدُّنْيَا وَغُرُورِهَا وَصَاحِبِهَا الْمَغْرُورِ بِهَا الْمُطْمَئِنِّ إِلَيْهَا.

يا نفسُ ! ما أقلّ ما نهتمّ بالقرين الصالح، الذي هو العمل الصالح، والذي هو رأسمالنا في الخلود، وما أكثر ما نهتمّ في دنيانا بالمال الذي يخذلنا، وبالأهل والولد الذين يوصلوننا إلى الحفرة الضيّقة ثم يتركوننا هناك.

يا أيها الإنسان إن النفس توسوس بكلّ أنواع المعاصي والذنوب والرذائل، من حبّ الدنيا وزينتها وزبرجها، وحبّ الجاه والرئاسة، وحبّ المال، والطمع والحرص، والكبر والصلف والعجْب، والطغيان والبغضاء والحقد، والعداوة والغفلة والحسد، والظلم والأنانية والانتقام، ومختلف اهتمامات الدنيا وتنافساتها ورغباتها الدنيّة، ومختلف الشهوات النفسيّة، وطول الأمل والغيبة واللغو والشبق، والشك والريبة والرياء والغضب.

يا أيّها الإنسان إن النفس تحبّ أن تفعل ما تشاء، لا حساب ولا رقيب، وأن تظلم هذا وتبطش بذاك، وتقترف الذنوب والآثام، وتستسيغ نسيان الله، وبطر النعمة، ونكران الجميل، وعدم الشكر.

يا نفسُ ! لولا الله في أعماقنا يناديا ويرأف بنا، لفعلت النفس الأفاعيل، ولكنه سبحانه وتعالى أقرب إلينا من حبل الوريد.

يا نفسُ ! فكيف لا نستيقظ من سباتنا، وننتبه لذلك، ونصغي إلى صوت الضمير والوجدان، الذي يمثّل صوت الله فينا، ونتّخذ الله عزّ وجلّ عضدًا في حربنا الضروس مع الطبيعة أو النفس أو الدنيا !

يا نفسُ ! انظري إلى غطرسة الشيطان ومكائده، التي تتمثّل فيك، فاحذريه وجاهديه بكلّ قواك، فإنه للإنسان عدوّ مبين.

يا نفسُ ! وكوني على حذر منه، وكوني متأهّبة أن تقولي له كما قال له عيسى عليه السلام حينما قال له الشيطان (العظمة لك يا عيسى) فقال:

بل العظمة للذي كوّنني من غير أب، وكذلك كوّن آدم وحواء.

وقال: العظمة للذي أنطقني في صغري، ولو شاء لأبكمني.

وقال: العظمة للذي خلقني وخلق ما سخّر لي من خلق الطين كهيئة الطير فأنفخ فيه فيصير طيرًا !

وقال: العظمة للذي بإذنه أشفي المرضى وإذا شاء أمرضني.

وقال: بل العظمة للذي بإذنه أحيي الموتى، ولا بد من أن يميت ما أحييت ويميتني.

وقال: بل العظمة للذي جعلني أعبر البحر، فلا تبتلّ قدماي ولا ترسخ فيه، ولو شاء أغرقني.

يا نفسُ ! هذا والله صوت الله فينا يصرخ بأعلى صوته، فالتصقي بالله عزّ وجلّ، ولا تنحرفي عنه قيد أنملة.

يا نفسُ ! فلا تغترّي بما أكرمك الله به من كرامات، فإنها محض ابتلاء، كي يبلوكم أيّكم أحسن عملًا.

يا نفسُ ! اجتمع الحواريون حول عيسى بن مريم عليه السلام وقالوا: أيها المعلّم نريد أن نعرف شيئين:

أولًا: أخبرنا كيف تكلّمت مع الشيطان الذي تقول عنه أنه غير نادم.

وثانيًا: أخبرنا كيف سيحكم الله في يوم المعاد.

يا نفسُ ! فأجاب عيسى: الحق أقول لكم: كنت أشفق على الشيطان لسقوطه وهلاكه، وكنت أحنو على الإنسان الذي أغواه الشيطان. لهذا صمتُ النهار وقمتُ الليل وناجيتُ ربي، فتكلّم إليّ ربّي بلسان جبرائيل سائلًا: ماذا تريد يا عيسى وما هو طلبك ؟

أجبت: ربي إنك تعلم ما هو الشرّ الذي سبّبه الشيطان، وكيف أن الكثيرين يهلكون بسبب إغوائاته. إنه يا رب مخلوقك الذي خلقته، لذلك ارحمه يا رب.

فأجاب الله: يا عيسى إني سأعفو عنه ! فقط دعه يقول: ربّي الله لقد أثمت فارحمني! وسأعفو عنه وأردّه إلى سابق مقامه.

يا نفسُ ! قال عيسى: ففرحت كثيرًا حينما سمعت ذلك، وكنت أعتقد أنني توصّلت إلى صيغة الصلح. لهذا ناديت الشيطان فجاء إليّ قائلًا: ماذا تريدني أن أفعل لك يا عيسى؟

فأجبته: أيها الشيطان افعله لنفسك، لأني لا أحبّ خدماتك، ولكني ناديتك كي تعمل شيئًا لصالحك.

أجاب الشيطان: إذا أنت لا ترغب في خدماتي، فأنا بالأحرى لا أرغب في خدماتك، لأني أنبل منك، لذلك فأنت غير جدير بأن تخدمني، لأنك من الطين وأنا من النار.

فقلت له: دعك من هذا، وأخبرني أليس الأولى لك أن ترجع إلى جمالك الأول وإلى مقامك الأول. إنك تعلم أن ميكائيل في يوم القيامة سوف يضربك بسيف الله ١٠٠,٠٠٠ ضربة، وأن كل ضربة سوف تذيقك عذاب الجحيم عشرة أضعاف.

فأجاب الشيطان: سنرى في ذلك اليوم من الغالب. سيكون على جانبي ملائكة كثيرون، وجلّ الوثنيين المقتدرين، الذين سيزعجون الله ويضايقونه. وسيعلم الله فداحة خطئه، إذ طردني من أجل قطعة من الطين سافلة دنيئة.

فقلت له: أيها الشيطان إنك ضعيف العقل، ولا تعلم ماذا تقول.

فقال الشيطان في سخرية مبصبصًا برأسه: تعال فاعمل الصلح بيني وبين الله. إنك سليم العقل يا عيسى. فقل لي ماذا يجب أن أعمل ؟

فأجبت: النطق بكلمتين فقط.

فأجاب الشيطان: أيّ الكلمتين ؟

فأجبت: أن تقول: لقد أثمت فارحمني.

فقال الشيطان: سأصالح الله عن طيب خاطر، إذا قال الله لي هاتين الكلمتين.

فقلت له: اغرب بوجهك عني أيها اللعين، لأنك أصل الخبث والظلم والآثام جميعها، وإن الله عادل ومنزّه عن الذنوب.

فانصرف الشيطان عني وهو يزعق ويصرخ: إنه ليس كذلك يا عيسى، ولكنك تكذب كي ترضي الله.

يا نفسُ ! وقال عيسى: والآن قولوا لي أيها الحواريون: كيف سيجد الشيطان الرحمة !

فأجابوا: مستحيل يا سيدنا، لأنه غير نادم بتاتًا.

يا نفسُ ! فكلما رأيت إنسانًا وهو يبصبص برأسه غرورًا، فاعلم إنه الشيطان يبصبص برأسه في هذا الإنسان التعيس.

يا نفسُ ! وبالنسبة لمكائد الشيطان وظهوره لعيسى عليه السلام، وإغوائه بكثير من الكلام الهراء، فقد ذكر في أمالي الشيخ الصدوق، أنه قد روي عن ابن عباس أنه قال: لما مضى لعيسى عليه السلام ثلاثون سنة، بعثه الله عزّ وجلّ إلى بني إسرائيل، فلقيه إبليس على عقبة بيت المقدس وهي عقبة أفيق، فقال له: يا عيسى أنت الذي بلغ من عظم ربوبيتك أن تكوّنت من غير أب !

قال عيسى: بل العظمة للذي كوّنني، وكذلك كوّن آدم وحواء.

قال إبليس: يا عيسى فأنت الذي بلغ من عظم ربوبيتك أنك تكلّمت في المهد صبيًّا !

قال عيسى: يا إبليس بل العظمة للذي أنطقني في صغري، ولو شاء لأبكمني.

قال إبليس: فأنت الذي بلغ من عظم ربوبيتك أنك تخلق من الطين كهيئة الطير فتنفخ فيه فيصير طيرًا !

قال عيسى: بل العظمة للذي خلقني وخلق ما سخّر لي.

قال إبليس: فأنت الذي بلغ من عظم ربوبيتك أنك تشفي المرضى !

قال عيسى: بل العظمة للذي بإذنه أشفيهم وإذا شاء أمرضني.

قال إبليس: فأنت الذي بلغ من عظم ربوبيتك أنك تحيي الموتى !

قال عيسى: بل العظمة للذي بإذنه أحييهم، ولا بد من أن يميت ما أحييت ويميتني.

قال إبليس: يا عيسى فأنت الذي بلغ من عظم ربوبيتك أنك تعبر البحر فلا تبتلّ قدماك ولا ترسخ فيه !

قال عيسى: بل العظمة للذي ذلّله لي، ولو شاء أغرقني.

قال إبليس: يا عيسى فأنت الذي بلغ من عظم ربوبيتك أنه سيأتي عليك يوم تكون السماوات والأرض ومن فيهن دونك، وأنت فوق ذلك كله تدبّر الأمر، وتقسّم الأرزاق.

فأعظم عيسى ذلك من قول إبليس الكافر اللعين، فقال: سبحان الله ملء سماواته وأرضه، ومداد كلماته، وزنة عرشه، ورضا نفسه.

قال: فلما سمع إبليس (لعنه الله) ذلك ذهب على وجهه لا يملك من نفسه شيئًا حتى وقع في اللجّة الخضراء.

يا نفسُ ! إن العقل الروحاني في وجودنا، بما فيه الضمير والوجدان، هو صوت الله عزّ وجلّ. ولا يحصل للإنسان إلا بالموت الإراديّ ، كما قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: "موتوا قبل أن تموتوا". وقد ذكرت شيئًا عن الموت الاختياريّ أو الإراديّ قبل الموت الحقيقيّ - حيث تميّز النور عن الظلمات والحقّ عن الضلال والرشاد عن الغيّ - في كتابي السموات السبع.

يا نفسُ ! إن الإنسان نموذج مصغّر عن الكون. ولقد كنا نذكر دائمًا في تعليماتنا العرفانية بأن الروح والنفس في الإنسان في صراع دائم. وأن الإنسان يجب أن يعقد العزم على تغليب الروح على النفس في نهاية المطاف.

يا نفسُ ! إن العلم الحديث في تقدّمه العظيم ـ بل في اختراقه حجب الأسرار الكونيّة ـ الذي حصل في العقدين الأخيرين بفضل المختبرات الفضائية التي أطلقت إلى الفضاء الخارجي، وعلى الأخصّ المختبر الفضائي (هابل)، قد أثبت أن هذا الصراع موجود أيضا في الكون.

يا نفسُ ! وقد ذكرنا هذا الاكتشاف بالعبارة التالية : -

وعندما توسّع الكون ومال إلى البرودة، كانت قوّة الجاذبيّة وقوّة (الجوهر أو اللبّ أو الروح) قد انخرطا في صراع وتشابك من أجل الهيمنة على الكون. كلا الحقلين مالا إلى الضعف والوهن مع توسّع الكون. ولكن في نهاية المطاف، ربح (الروح) المعركة على (الجاذبيّة)، وأخذ زمام المبادرة والسيطرة بيده، يدفع المجرّات بعيدًا عن بعضها البعض.

يا نفسُ ! إن نفس السيناريو يحدث في الإنسان ـ النموذج المصغّر عن الكون ـ أيضًا. ففي الكون إنه الصراع بين الجوهر وبين الجاذبية، في حين إنه في الإنسان الصراع بين الروح والنفس.

يا نفسُ ! ففي الإنسان أيضًا كلا الحقلين يميلان إلى الضعف والوهن مع تقدّم عمر الإنسان. والمطلوب من هذا الإنسان، الذي أكرمه الله أيّ إكرام بتمليكه قابليّة الاختيار لتغليب هذا على ذاك، دون أيّ موجود آخر، ما لا تملكه مملكة الحيوانات أو النباتات أو الجمادات، أن يسعى ويكدّ ويجهد ويجدّ بأن يغلّب الروح على النفس.

يا نفسُ ! إن الروح عيّنة مقدّسة من الله سبحانه وتعالى لدينا، نفخه فينا من روحه جلّ شأنه، وأودع عندنا هذه الوديعة المقدّسة. فالروح وديعة الله عندنا، وحقًّا فرض علينا وألف فرض، أن نغلّبها في وجودنا على قوى النفس، وخدمها وحشمها وجنودها وأبناء وأحفاد جنودها، من الهوى والتشتّت والتبعثر وشتات الشمل، والعقد المستقرّة في جهازنا العصبي وفي عقلنا الباطني، والتي هي بقايا عهود الجاهليّة في حياتنا.

يا نفسُ ! نعم عندما دخلت طريقة السير والسلوك، كنت أبكي أيامًا طوالًا على نفسي، وأقول: كيف ضيّعت حياتي في ظلمات هذا الجهل وفي عهود الجاهليّة السوداء !!!

يا نفسُ ! إنه لحسن جميل أن يستقبح المرء من نفسه ما يستقبحه من غيره، وأن ينسلّ من العجْب الذي هو ضد الصواب وآفة الألباب، وأنه لا غنى بالإنسان - الذي

يفيق من الكرى، والذي يشرق على قلبه من سمائها أول شعاع من أشعّة الهدى - عن حسن الطلب والارتياد، وقدر بلاغه من الزاد، قبل نزوله في قبره، وأن يوطئ المنزل قبل حلوله في لحده، فليس بعد الموت مستعتب، وأن يستصلح كل نعمة أنعمها الله عليه، وأن يقصّر رأيه على ما يعنيه، وأن يحنو على ضالّته من الحكمة التي وجدها حنوّ المحبّ على حبيبه، وأن تكون نفسه نقيّة بيضاء، غير ملوّثة بأدران الرذائل والمفاسد السوداء، ولا تلوّثه شائبة من شوائب السفالة والدناءة الحمقاء، ولا يفوته إباء الضيم، ولا نقاء الضمير.

وأن ينسلّ من مخالب الدنيا، ويفلت من حبائلها، ويجتنب الذهاب في مداحضها. فمن وطئ دحضها زلق، ومن ركب لجّها غرق، ومن ازورّ عن حبائلها وفّق. فإن الله سبحانه وتعالى قرن بسعتها عقابيل فاقتها، وبسلامتها طوارق آفاتها، وبفرج أفراحها غُصَصَ أتراحها. إن الدنيا دار شخوص، ومحلّة تنغيص، ساكنها ظاعن، وقاطنها بائن، تميد بأهلها ميدان السفينة، تقصفها العواصف في لجج البحار، وتحفزه الرياح بأذيالها، وتحمله على أهوالها، فما غرق منها فليس بمستدركٍ، وما نجا منها فإلى مهلكٍ.

يا نفسُ ! إن الله جل وعلا ذكر نفس آية نفخ الروح في الإنسان مرتين في كتابه المقدّس، مرة في سورة الحجر ومرة أخرى في سورة ص، إذ قال جلّ شأنه ـ ونفس الآية مكرّرة مرتين ـ: فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُواْ لَهُ سَاجِدِينَ[1].

يا نفسُ ! إن الله سبحانه وتعالى، الذي نفخ فينا من روحه وأودع فينا عيّنة منه، أكرمنا بها إكرامًا، وجعل وجودنا مظهرًا وتجلّيًا من تجلّياته جلّ وعلا. فإذا أهملناها كنا كمن ينام على كنز كل ليلة، وهو معرض عن هذا الكنز العظيم، لا يستفيد منه شيئًا. فيا ترى من الخسران في هذه الصفقة !!!

[1]: [الحجر : ٢٩]، [صـ : ٧٢].

يا نفسُ ! نعم إن أهملنا هذا الكنز المقدّس كنا نحن كالدوابّ والأنعام بل أضلّ سبيلًا. يقول الله جل شأنه: وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيراً مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لاَّ يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لاَّ يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لاَّ يَسْمَعُونَ بِهَا أُوْلَـئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَـئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ[1].

يا نفسُ ! إن المشكلة الكبرى هو أننا نفكّر بأن هذه الآية نزلت في الكفّار والمشركين الذين كانوا يعيشون قبل ١٤٠٠ عام، وأنها لغيرنا لا لنا، وإننا بمنأى عنها، تمامًا كما نفكّر بأن الموت لغيرنا لا لنا. أما إذا دخلت أنت طريقة السير والسلوك، سترى القرآن الكريم حيًّا ينبض بالحياة، وسترى أن كل آية فيه إنما هي لك، في المقام الأول. نعم أنت المعنيّ في المقام الأول، فاحذر واعمل.

يا نفسُ ! أما إذا غلّبنا الروح على النفس كنا مظهرًا وتجلّيًا من تجلّيات الله بل كلمة منه سبحانه. وهذا ما يقوله العرفاء بالضبط. إنهم لا يقولون بأنهم أصبحوا إلهًا ـ والمعاذ بالله ـ كما يتصوّره العامة من الناس، وفي مقدّمتهم بعض المثقفين والدكاترة مع الأسف الشديد.

يا نفسُ ! ولأن الله تعالى أودع فينا قابلية الاختيار، فإن بمقدورنا أن نجاهد في الله حقّ جهاده ونهتدي إلى سبله، حتى تتغلّب الروح على النفس. يقول الله تعالى: وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ[2].

يا نفسُ ! نعم بمقدورنا أن نغلّب الروح على النفس، رغم كل مشقّاتها الصعبة، وكمون إبليس في ثنايانا، وفي كل ركن وزاوية وشقّ من النفس، وأصعب من ذلك تحكّم

---

[1]: [الأعراف : ١٧٩].

[2]: [العنكبوت : ٦٩].

إبليس في شبكة الأمواج والإشارات الكهرومغناطيسية الجارية في جهازنا العصبي، وفي اللاوعي والعقل الباطن من وجودنا.

يا نفسُ ! ولو أننا عزمنا وصمّمنا على أن نتابع الجهاد الأكبر حتى آخر نفس من العمر، لضعفت النفس، ووهن إبليس وجنوده، أمامنا قليلًا قليلًا، وقويت الروح وزادت هيمنتها تدريجيًّا.

يا نفسُ ! يقول الرسول صلى الله عليه وآله وسلم: "تخلّقوا بأخلاق الله". ولكن معظمنا لم يدخل السير والسلوك حتى يبدأ هذه العمليّة التطهيرية المقدّسة. فإذا بدأنا السير والسلوك، وعزمنا وصمّمنا على متابعة طريقنا حتى آخر قطرة من دمائنا، وتخلّقنا بأخلاق الله، أصبحنا مظهر الله وكلمة منه.

يا نفسُ ! وإن ما يفعمنا بالأمل أن الله تعالى جواد كريم، لم يحصر كلماته في الأنبياء والأئمة والماضين فقط، كما يتصوّره العامة، بل عمليّة كلمات الله مستمرّة من عهد آدم إلى اليوم وإلى أن تبدّل الأرض غير الأرض والسموات، وإلى يوم يوجد فيه إنسان ما على هذه الأرض. إن كلمات الله لا تنفد، وإن كرم الله وخزائنه لا تنفد أبدًا. يقول الله تعالى: وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِن بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ[1].

يا نفسُ ! إن كلمات الله لا تنحصر في الأنبياء والأئمة والماضين فحسب، بل إن الله بسطها في العرفاء والأولياء والمقرّبين وعباد الله الصالحين. نعم إن كلمات الله ومظاهره وتجلّياته هم نحن، إذا دخلنا في زمرة هؤلاء، واتّبعنا سبيلهم واحتذينا بهم حذو النعل بالنعل.

---

[1]: [لقمان : ٢٧].

يا نفسُ ! يقول الله جل شأنه: حَتَّى إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحاً تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ* أُوْلَئِكَ الَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَنَتَجاوَزُ عَن سَيِّئَاتِهِمْ فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ وَعْدَ الصِّدْقِ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ[1]. وقال صلوات الله عليه وآله: "من بلغ الأربعين ولم يفلح فلا فائدة منه".

يا نفسُ ! نعم إذا بلغنا أربعين سنة ودخلنا طريقة السير والسلوك، يعتبر ما قبله سنوات عجاف وعهود الجاهليّة من عمرنا. وقد اكتنزت وتراكمت في عهود الجاهليّة كثير من العقد والاعوجاجات في أنفسنا، وفي جهازنا العصبيّ والفيزيولوجيّ، وفي اللاوعي وعقلنا الباطن، والتي يجب تقويمها. إلا أن بيننا وبينها حجبًا سميكة متراكمة بعضها فوق بعض، لا ننتبه إليها إلا بعد ما قطعنا أشواطًا في السير والسلوك، واستبانت لنا معالم أنفسنا على حقيقتها.

يا نفسُ ! وقد خصّصنا في كتابنا (خمسة من العرفاء) فصلًا خاصًا (للعقبة الكأداء) في السير والسلوك. **وذكرنا أن تجاوز هذه العقبة أخذ من بايزيد البسطامي خمس سنوات. أما أنا فبعد ٢٩ عامًا من دخولي طريقة السير والسلوك في عام ١٩٧٥، تنبّهت إلى وجود هذه العقبة الكأداء في وجودي. ولولا عناية الله جلّ وعلا لما تنبّهت إليها، ولولا رحمته وعطفه وشفقته عليّ لما تيسّر لي هذا الجهاد الصعب، ولما سهلت ولانت عليّ زبر الحديد، ولما انفتحت عليّ أزقّة الجهاز العصبي المظلمة، ولما أشرقت عليّ ظلمات العقل الباطني.**

---

[1]: [الأحقاف : ١٥ - ١٦].

يا نفسُ ! إنه عالم السرّ وأخفى، ولا عالم سواه. وإذا أراد سبحانه أن يتفضّل على أحد بشيء من أكنان أسراره وغيابات غيوبه، فإنه يقول له كن فيكون، لا تعترضه في ذلك عارضة أيًا كانت، ولا يمنعه مانع مهما كان.

يا نفسُ ! إنه عالم بمَا ضَمِنَتْه أَكْنَانُ الْقُلُوبِ، وغَيَابَاتُ الْغُيُوبِ، ومَا أَصْغَتْ لِاسْتِرَاقِه مَصَائِخُ الأَسْمَاعِ، ومَصَايِفُ الذَّرِّ ومَشَاتِي الْهَوَامِّ، ورَجْعِ الْحَنِينِ مِنَ الْمُولَهَاتِ وهَمْسِ الأَقْدَامِ، ومُنْفَسَحِ الثَّمَرَةِ مِنْ وَلَائِجِ غُلُفِ الأَكْمَامِ، ومُنْقَمَعِ الْوُحُوشِ مِنْ غِيرَانِ الْجِبَالِ وأَوْدِيَتِهَا، ومُخْتَبَئِ الْبَعُوضِ بَيْنَ سُوقِ الأَشْجَارِ وأَلْحِيَتِهَا، ومَغْرِزِ الأَوْرَاقِ مِنَ الأَفْنَانِ، ومَحَطِّ الأَمْشَاجِ مِنْ مَسَارِبِ الأَصْلَابِ، ونَاشِئَةِ الْغُيُومِ ومُتَلَاحِمِهَا، ودُرُورِ قَطْرِ السَّحَابِ فِي مُتَرَاكِمِهَا، ومَا تَسْفِي الأَعَاصِيرُ بِذُيُولِهَا، وتَعْفُو الأَمْطَارُ بِسُيُولِهَا، وعَوْمِ بَنَاتِ الأَرْضِ فِي كُثْبَانِ الرِّمَالِ، ومُسْتَقَرِّ ذَوَاتِ الأَجْنِحَةِ بِذُرَا شَنَاخِيبِ الْجِبَالِ، وتَغْرِيدِ ذَوَاتِ الْمَنْطِقِ فِي دَيَاجِيرِ الأَوْكَارِ، ومَا أَوْعَبَتْه الأَصْدَافُ وحَضَنَتْ عَلَيْه أَمْوَاجُ الْبِحَارِ، ومَا غَشِيَتْه سُدْفَةُ لَيْلٍ أَوْ ذَرَّ عَلَيْه شَارِقُ نَهَارٍ، ومَا اعْتَقَبَتْ عَلَيْه أَطْبَاقُ الدَّيَاجِيرِ وسُبُحَاتُ النُّورِ وأَثَرِ كُلِّ خَطْوَةٍ، وحِسِّ كُلِّ حَرَكَةٍ ورَجْعِ كُلِّ كَلِمَةٍ، وتَحْرِيكِ كُلِّ شَفَةٍ ومُسْتَقَرِّ كُلِّ نَسَمَةٍ، ومِثْقَالِ كُلِّ ذَرَّةٍ وهَمَاهِمِ كُلِّ نَفْسٍ هَامَّةٍ، ومَا عَلَيْهَا مِنْ ثَمَرِ شَجَرَةٍ أَوْ سَاقِطِ وَرَقَةٍ، أَوْ قَرَارَةِ نُطْفَةٍ أَوْ نُقَاعَةِ دَمٍ ومُضْغَةٍ، أَوْ نَاشِئَةِ خَلْقٍ وسُلَالَةٍ، لَمْ يَلْحَقْه فِي ذَلِكَ كُلْفَةٌ، ولَا اعْتَرَضَتْه فِي حِفْظِ مَا ابْتَدَعَ مِنْ خَلْقِه عَارِضَةٌ، ولَا اعْتَوَرَتْه فِي تَنْفِيذِ الأُمُورِ وتَدَابِيرِ الْمَخْلُوقِينَ مَلَالَةٌ ولَا فَتْرَةٌ.

يا نفسُ ! حتى أني لم أكن أعرف ما هو معنى (إلهي فكّ رقبتي من النار)، والتي هي منتشرة في أدعية الأئمة عليهم السلام. **حتى انكشف عليّ مغزاها في ليلة القدر**. يقول الله تعالى: فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ* فَكُّ رَقَبَةٍ* أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ* يَتِيماً ذَا مَقْرَبَةٍ* أَوْ

مِسْكِيناً ذَا مَتْرَبَةٍ* ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ* أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ [1].

يا نفسُ ! إن هذا هو فكّ رقبتك ورقبتي من النار، ومن السلاسل والقيود والأغلال، التي لا نعرف عنها شيئًا في حياتنا العادية، ونحوّل كل هذه الأشياء إلى ما بعد مليارات السنين، وإلى يوم القيامة. جميع هذه الأشياء يجب أن تتحقّق هنا في حياتك، والتي هي فرصتك الوحيدة في هذه الدنيا. إن هذه الدنيا هي مزرعة الآخرة، ولا مزرعة سواها.

يا نفسُ ! أما إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ يَتِيماً ذَا مَقْرَبَةٍ أَوْ مِسْكِيناً ذَا مَتْرَبَةٍ، فهو إطعام الفقراء إلى الله. إلهي اجعلني ممن يطعمون فقراء الله من مائدتك يا رب !

يا نفسُ ! **وأقولها بصراحة إني استفدت من كتابة كتبي الشيء الكثير. فأنا أول المستفيدين منها. فقد هداني الله إلى سبله. وما ترويض العقبة الكأداء إلا ثمرة كتاباتي التي سهّلها الله عليّ. وآمل أن يأكل الفقراء إلى الله من هذه الثمار أيضًا، وهي ثمار الجنة حقًّا. فها قد بسطت موائد الله، فأين الفقراء إلى الله من هذه الموائد !!!**

يا نفسُ ! إنها قيثارة الملكوت، تضرب عليها الملائكة موسيقى الخلود، كي تخلب بها لبّ الفقراء وتستهويهم، فتطرب لها طربًا شديدًا، وتقلّهم أجنحتها إلى السماء، فيرتفع في صوتها نغم كأنه كوكب يتغنّى، فيتوق القمر إلى أنغامها، وتتطلّع النجوم إلى إيقاعها.

يا نفسُ ! إن العطاء حاجة من حاجات ثمار الجنة، لا تعيش بدونها، كما أن الأخذ حاجة من حاجات المريدين، لا يحيون بغيرها. إن جمال الملكوت وموسيقى الخلود صورة يبصرونها ولو أغمضوا عيونهم، وأنشودة يسمعونها ولو أغلقوا آذانهم، وعطور الأزهار

---

[1]: [البلد : ١١ - ١٨].

والورود البديعة يستروحونها، ولو سدّوا مناخرهم. إن من يترنّم بأناشيد أسرارها في آذان الأبديّة هم جوقة من الملائكة ترفرف بأجنحتها إلى منتهى الدهور.

يا نفسُ ! لقد اخترق علماء الغرب حجب أسرار الكون. أليس الأحرى بنا الآن أن نخترق معًا حجب أسرار النفس والروح ! فإن بعد النفوذ في الأسرار واختراقها، ومعرفة أغوار النفس وأعماقها، وتخطّي عقباتها وشدائدها وأهوالها، وتحطيم قيودها وسلاسلها وأغلالها، وفي نهاية المطاف، بعد ترويض العقبة الكأداء، سعادة خالدة ليس مثلها سعادة، تبقى لك في عاقبة حياتك وفي الخلود بعد مماتك. والسعادة الخالدة هي ما تحنّ وتصبو إليه فطرتنا، وهي الدعامة الأساسيّة التي تدور حولها رحى حياتنا ووجودنا.

يا نفسُ ! إن اقتحام العقبة الكؤود، وفكّ الرقبة من القيود، يؤول بنا إلى أكنان الدّعة، وأوطان السّعة، ومعاقل الحرز، ومنازل العزّ.

يا نفسُ ! إن العقبة الكأداء هو الرجس أو الشرك الخفيّ الذي بقي متأصّلًا في الجهاز العصبي والفيزيولوجي وفي العقل الباطن. إنه من بقايا عهود الجاهليّة من عمرنا في الطفولة والمراهقة، وقبل هدايتنا إلى طريقة السير والسلوك. في تلك العهود الظلماء كنا ننسب التدبير والاختيار إلى أنفسنا، وفي تلك الأيام كان الله قد وكلنا إلى أنفسنا. والنفس هي معوجّة بالأساس، وقد أدركت الأشياء بطريقتها الخاصة بها، وهذه الطريقة هي مليئة بالجهل والفجاجة والغرور.

يا نفسُ ! في تلك الأيام لم يكن الله عز وجل قد رزقنا بعد التجافي عن دار الغرور والإنابة إلى دار الخلود. والغرور يتلقّى الأشياء بطريقته الصعبة، وبردود أفعال عصبيّة فيزيولوجيّة. وبدل أن يعرف الجهاز العصبي **بأن قوانا** إنما هي **قوى الله تفيض في الوجود**، كانت تظنّ أنها قوانا، وكانت جميعها تدور حول إمبراطوريّة النفس، وعلى رأسها الإمبراطور

إبليس. وبدل أن يعرف الجهاز العصبي **بأن تدبيرنا** إنما هو **تدبير الله يفيض في الوجود**، كانت تحسب أنه تدبيرنا. ولذلك فإن القوى والتدبير وضعا في غير محلّها. وهذا الجهل سبّب التراكمات المركّبة في الإحباطات النفسية، التي تسرّبت إلى العقل الباطني والجهاز العصبيّ.

يا نفسُ ! وإذا وضعنا الأشياء مواضعها وفي محلّها المناسب، فإن القوى والتدبير من الله العزيز الحكيم، وأن موقفنا يجب أن يكون الشكر الشكر الشكر لا غيره. وإذا لم يكن الشكر متأصّلًا في جهازنا العصبي وفي عقلنا الباطن، فهذا هو الشرك الخفيّ أو الرجس بعينه. إن نفسنا جعلت من نفسها ـ في أيام إمبراطوريتها ـ شريكًا لله والمعاذ بالله من الجهل. وما دام الشكر مفقودًا في أعماق أعماقنا وفي بواطن بواطننا فالشرك الخفيّ هنالك بالمرصاد.

يا نفسُ ! وكلما كرّرت ذكر الشكر، وتنعّمت به، استخذى الشرك الخفيّ وتضائل وضعف، ووهنت قواه، وتناقصت هيمنته عليك، وأخيرًا يسلم الشيطان على يديك كما حصل للرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم إذ قال: "أسلم الشيطان على يدي وأعانني الله عليه". وفي نهاية المطاف، يلوّح إبليس وجنوده براية السلام البيضاء في الآفاق، ببركة الذكر والجهاد، ونقاء النيّة والإخلاص، والعزيمة والتصميم وهمّة الرجال.

يا نفسُ ! إن الرجس أو الشرك الخفيّ، واستئصاله من جذوره في نظامك العصبي يتطلّب جهاد العمر. إنه نوع من الانفصام في شخصيتك، وشغل هذه الهوّة وهذا الفراغ الذي فتحه هذا الانفصام في وجودك، لا يستطيع أيّ شيء أن يملأ هذه الهوّة الواسعة، أو يشغل هذا الفراغ المزمن إلا الشكر.

يا نفسُ ! نعم الشكر في مقابل الشرك ـ نفس الحروف ولكن الحرفين الأخيرين يجب أن يقلبا حتى تتحقق الطهارة الكاملة في وجودك !

يا نفسُ ! والسبب في أن جهاد الشرك الخفيّ والرجس يتطلّب هذا الوقت الطويل، هو أنه تتراكم على لبّ الرجس قشور فوق قشور وطبقات فوق طبقات وشرائح فوق شرائح، بحيث لا تستطيع أن تتلمّس طريقك إلى الرجس نفسه، لأنه يشغلك بقشوره وطبقاته وشرائحه لسنوات طويلة.

يا نفسُ ! فكل شريحة وطبقة منها هي مشكلة كبرى في حياتك، وتحتاج إلى ذكر معيّن وإلى جهاد عظيم، وربما لأشهر أو لسنوات، كي تزيلها من وجودك ـ أو بالأحرى أن يزيلها الله عن وجودك.

يا نفسُ ! وإذا لم تشحذي الهمّة والعزيمة لمحاربة هذا الشرك الخفيّ والرجس المزمن ـ بكل قشوره وطبقاته وشرائحه واحدة واحدة ـ فإنك لا زلت لم تبدئي الجهاد الأكبر.

يا نفسُ ! إن الشرك الخفيّ ـ أو بعبارة أخرى الرجس ـ متجذّر في نظامك العصبيّ وفي عقلك الباطن. واستئصال كل هذه القشور والطبقات والشرائح المتراكمة، ومن ثمّ الرجس نفسه، ربما تأخذ منك سنوات أو عقودًا، هذا إذا كنت تعملين وتجاهدين في نفسك بكل جدّيّة وإخلاص، وإلا فلا.

يا نفسُ ! إنها العقبة الكأداء التي تكلّمتُ عنها في فصل خاص في كتابي (خمسة من العرفاء). وتجاوزها وتخطّيها والخلاص منها إنما هي فكّ رقبتك ورقبتي من عقالها. إنها فكّ رقبتك ورقبتي من النار !!!

يا نفسُ ! إن الطبيعة أو النفس أو الدنيا منغمسة في مقطع حياتيّ، ولكن العقل الروحاني له إحاطة على الحياة برمّتها، من قبل الولادة إلى ما بعد الموت.

يا نفسُ ! إن الصورة في سياق هذه الإحاطة تختلف كثيرًا عن الصورة في سياق مقطع حياتيّ، كمن يرى الكرة الأرضية من علوّ شاهق، بألوانها الزاهية، وهي تدور حول نفسها، وتصغر في عينيه الأعيان البشرية، وهي تتحرّك على سطح هذه الكرة الصغيرة. وكل فرد من البشر يعيش مشاكله التي تترائى له كبيرة ومعقّدة، في حين أنها صغيرة جدًّا في عين المراقب على القمر أو المريخ، صغر الأعيان البشرية ذاتها.

يا نفسُ ! إن هذا المراقب له إحاطة على الكرة الأرضية من علوّ شاهق، في حين أن ذلك الفرد البشريّ يعيش في بيت صغير في هذه الكرة متذمّرًا من حياته ومن مشاكله (الكبيرة المعقّدة).

يا نفسُ ! سوف نذكر كيف هم المتذمّرون في عين الله عزّ وجلّ.

يا نفسُ ! أين الثرى من الثريّا وأين الطبيعة من العقل وأين الدنيا من الآخرة وأين النفس من العقل الروحاني !

يا نفسُ ! لقد قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: "ما أَخَذَتِ الدُّنْيَا مِنَ الآخِرَةِ إلاّ كَمَا أَخَذَ المِخْيَطُ غُرِسَ في البَحْرِ مِنْ مَائِهِ".

يا نفسُ ! أين الحياة القصيرة على الأرض من الآخرة وسعتها وجمالها وحورها وقصورها، ومجد الجنّة وجلالها وبهائها وعظمتها !

يا نفسُ ! عندما حقّق عيسى عليه السلام معجزته العظيمة بإذن الله مع الجنود الرومان، وحينما رأى الكهنة والفريسيون ذلك، تذمّروا فيما بينهم وقالوا: إنه (يعني عيسى عليه السلام) يملك حكمة بعل وعشتاروت، وقد فعل ما فعل بقوّة الشيطان.

يا نفسُ ! نعم تذمّروا بدل أن يفتحوا قلوبهم لهذه المعجزة العظيمة، ويتأمّلوا ويتبصّروا من هو المتكلّم ومن هم المخاطبون. المتكلّم هو عيسى الذي يدافع عن الله، وعن

دين الله الحقيقي، والمخاطبون هم الكفار من جنود الرومان، الذين يدافعون عن أوثانهم، ويركنون إلى قوّتهم العسكريّة. وبدل أن يفتح الكهنة والفريسيّون قلوبهم، على نبوّة عيسى، إلا أنهم فتحوا أذهانهم الوسخة، على أحقادهم القديمة، ومصالحهم الشخصيّة. فأيّ ذنب أكبر من هذا !

يا نفسُ ! وثانيًا: بدل أن يضعوا الأشياء مواضعها الصحيحة، وينسبوا المعجزة إلى قوّة الله تعالى، التي ظهرت في نبيّه عيسى، فإذا هم ينسبون المعجزة إلى قوّة الشيطان، ويسرقون عيسى هذا الشرف العظيم. أليست لصوصيّة الشرف من أعظم الذنوب، التي لا يغفرها الله ؟ أتعلمون لماذا ؟ لأن هذه اللصوصيّة مرض عضال لا يعتبرها البشر مرضًا، بل يعتبرها مادة للفخر والمباهاة، وإرضاء لعقدة العظمة عندهم، فلذلك لا يندمون عليها، ولا يتوبون عنها، فكيف يغفر الله هذا الذنب العظيم، إذا كان المذنب لا يشخّص مرضه، وفداحة معاصيه وآثامه.

يا نفسُ ! فتعلمي الدرس، وخذي العبرة من عابد بني اسرائيل، وهو يتأمّل في السماء والشمس والقمر والنجوم، ويرى بأمّ عينيه طاعتها المطلقة في خدمة الله وفي عبادة الله ! ثم ينظر في نفسه، وهو يتذمّر من قلّة المطر تارة، ومن كثرة المطر تارة أخرى، ويتذمّر من حرارة الشمس الملتهبة تارة، ومن برودة الهواء تارة أخرى، ويتذمّر من قلّة ضوء القمر والنجوم، التي لا تساعده على الرؤية الصافية في الليلة الحالكة. أليست كل هذه التذمّرات والدمدمات والزمزمات لصوصيّة شرف الله ؟

يا نفسُ ! ولكن طوبى لمن شخّص مرضه العضال، وعرضه على الله عاريًا مكشوفًا، يستعطفه ويستمطر رحمته ورأفته وشفقته ! حينئذ ينظر الله سبحانه وتعالى إلى عبده، بنظر الرحمة والعطف والرأفة، ويحوّل حالته البشريّة إلى حالة الله، أي الحالة الإلهيّة والمقام

الربّانيّ، ويجعله ربّانيًّا بعد أن كان بشريًّا. فتعلّموا يا لصوص الشرف ويا أيها المتذمّرون ! شخّصوا مرضكم العضال، واستعطفوا ربكم، إنه كان غفّارًا، ينزل سماء رحمته عليكم مدرارًا، ويهديكم صراط الذين أنعم عليهم من الأنبياء والأولياء والأئمة الطاهرين، والعيش في جوارهم أبد الآبدين.

يا نفسُ ! عندها فتح عيسى عليه السلام فمه الشريف، وهو الناطق بالحقّ المبين قائلا: إن الله قد أمرنا أن لا نسرق متاع جارنا. ولكن هذه الفريضة النادرة في نوعها، قد انتهكت ودنّست وهتكت وأسيئ استعمالها، بحيث أنها ملأت العالم ذنوبًا وآثامًا ومعاصي.

إن الله سبحانه وتعالى لا يغفر هذا الذنب، كما يغفر الذنوب الأخرى. فإن الإنسان ربما بكى وندب على ذنب ولم يكرّره، أو صام وصلّى وزكّى تكفيرًا عن الذنب، فإن الله القادر الرحيم سوف يغفر له ذلك الذنب. بيد أن هذا الذنب لا يغفره الله البتة، إلّا أن تردّ بضاعة الشرف إلى صاحبها، كما سرقت من صاحبها.

يا نفسُ ! وما أسرع ما ردّت الأمّة بضاعة الشرف إلى عيسى، بعد ما سرقها أجدادهم منه. ومن الخاسر في نهاية المطاف ؟ هم والله أجدادهم الذين سرقوا بضاعة الشرف من عيسى، واتّهموه بعبوديّة الشيطان، ومثّلوه ببعل وعشتاروت.

يا نفسُ ! وما أسرع ما ردّت الأمّة بضاعة الشرف إلى محمد صلى الله عليه وآله وسلم، بعد ما سرقها أجدادهم منه. ومن الخاسر في نهاية المطاف ؟ هم والله أجدادهم الذين سرقوا بضاعة الشرف من محمد صلوات الله عليه وآله، واتّهموه بالجنون والسحر والكذب، واضطهدوه شرّ اضطهاد، ورموه بالحجارة حتى أثخنوه دمًا، وحتى قال صلوات الله عليه وآله: "ما أوذي نبيّ بمثل ما أوذيت".

يا نفسُ ! وما أسرع ما ردّت الأمّة بضاعة الشرف إلى علي وفاطمة والحسن والحسين والتسعة المعصومين من ولد الحسين عليهم السلام، بعد ما سرقها أجدادهم منهم. ومن الخاسر في نهاية المطاف ؟ هم والله أجدادهم الذين سرقوا بضاعة الشرف منهم، وقتلوهم إما بالسيف وإما بالسمّ الزعاف.

يا نفسُ ! ونفس القصّة تستمرّ مع أولياء الله الصالحين إلى يوم القيامة. فكانت مشيئة الله أن يكونوا غرباء في أوطانهم، تسرق منهم بضاعة الشرف، وأيّما سرقة ! وتُعطى بضاعة الشرف إلى من لا يستحقّونها، من أهل الدنيا في هذه الدنيا، ممن قال عنهم الرسول الأعظم صلوات الله عليه وآله: " أَبْغَضُ الْعِبادِ إِلَى اللَّهِ مَنْ كانَ ثَوْبَاهُ خَيْرَاً مِنْ عَمَلِهِ: أَنْ تَكُونَ ثِيابُهُ ثِيابَ الْأَنْبِياءِ؛ وَعَمَلُهُ عَمَلَ الْجَبَّارِينَ".

يانفسُ ! فلصوصيّة الشرف من كبريات المعاصي عند الله، لا يغفرها الله، إلا إذا ردّت بضاعة الشرف إلى أصحابها الحقيقيين، كما سرقت منهم. وما أندر الأفراد الذين يردّون بضاعة الشرف إلى أصحابها في حياتهم، فيحصلون على غفران الله ورضوانه.

يا نفسُ ! عندها قال أحد الكتاب: أيها المعلّم كيف أن اللصوصيّة والسرقة والنهب قد ملأت الدنيا آثامًا وذنوبًا ؟ لا جرم أن حالات السرقة والنهب في زماننا قليلة بفضل الله ورحمته، وأن اللصوص لا يجرؤون على الظهور، وإلا شُنقوا حالًا من قبل السلطة.

يا نفسُ ! فأجاب عيسى: إن الذي لا يعرف البضاعة لا يعرف اللصوص. الحق أقول لك: إن هناك كثيرين يسرقون، ولا يعلمون ماذا يفعلون، ولذلك فإن ذنبهم أعظم من غيرهم، لأن المرض الذي لا يُعرف ولا يُشخّص، لا يُبرئ ولا يُداوى.

يا نفسُ ! ثم اقترب الفريسيون من عيسى وقالوا: أيها المعلّم إنك الوحيد في اسرائيل، الذي تعرف الحق والحقيقة، فعلّمنا إيّاها.

أجاب عيسى: لا أقول إني الوحيد في اسرائيل، الذي يعرف الحقّ والحقيقة. إن كلمة الوحيد والأوحد والأحد، مختصّة بالله وحده لا بغيره. لأنه الحقّ وهو الوحيد الذي يعرف الحقّ. ولذلك إذا أنا ادّعيت أني الوحيد، فأنا أعظم لصّ، لأني أكون قد سرقت شرف الله ومجده. وإذا ادّعيت أني الوحيد الذي يعرف الله، أكون قد وقعت في جهل عظيم.

لذلك فقد اقترفتم ذنبًا فظيعًا، بقولكم أني الوحيد الذي يعرف الحق والحقيقة. وأقول لكم إن ذنبكم أعظم، إذا كنتم فعلتم ذلك لإغوائي وإغرائي.

يا نفسُ ! فلما رأى عيسى أنهم سكتوا، كأن على رؤوسهم الطير، تكلّم ثانية وقال: ورغم أني لست الوحيد في اسرائيل الذي يعرف الحقّ، ولكني الوحيد الذي يتكلّم. لذا اسمعوا لي وأنصتوا لأنكم سألتموني.

كل الأشياء التي خلقها الله، تختصّ بالله وحده، بحيث أن لا مجال لأحد أن يدّعي ملكيّة أيّ شيء. لذلك فإن الروح والحواس والجسد والزمان والمتاع والشرف كلها لله، بحيث أن الإنسان يعتبر لصًّا، إذا كان قد حصلها بما لا يرضي الله. كذلك هو يعتبر لصًّا، إذا كان قد أنفقها بما لا يرضي الله.

بحقّ الحيّ الذي لا يموت والذي نفسي بيديه، إذا كنتم تسوّفون وتقولون: سأفعل ذلك غدًا، أو سأقول ذلك غدًا، أو سأذهب إلى ذلك المكان غدًا، ولم تقولوا: (إنشاء الله) فإنكم لصوص. وأنتم تعتبرون من أكبر اللصوص، إذا قضيتم أحسن أوقاتكم في إرضاء أنفسكم، لا في إرضاء الله، وقضيتم أسوء أوقاتكم في خدمة الله وعبادته.

وكل من اقترف إثمًا، أيا كان الآثم، وأيا كان الإثم، فهو يعتبر لصًّا، لأنه يسرق من وقته وروحه وحياته، التي ينبغي له أن يكرّسها جميعها لخدمة الله وعبادته، ثم يعطيها للشيطان الذي هو عدوّ الله.

فالإنسان شرفه وحياته ومتاعه كلها هي بضاعته. فإذا سرق سارق متاعه شنق، وإذا أخذ القاتل حياته قطع رأسه. وهذه الأوامر جاءت صريحة في الناموس، ومن وصايا الله سبحانه وتعالى إلى عبده موسى.

ولكن إذا دنّس شرف الجار وانتهك وهتك، فلماذا لا يصلب سارق الشرف ؟ هل المتاع حقًّا أحسن من الشرف ؟ هل الله حقًّا أمر بأن يعاقب سارق الأمتعة، وأن يقاصّ قاتل النفس، ولا يعاقب ولا يجازى سارق الشرف، بل يُترك حرًّا طليقًا ؟

بالتأكيد لا ! لأن أجدادنا منعوا من دخول أرض الميعاد، وذلك بسبب تذمّرهم ودمدمتهم وزمزمتهم وشكايتهم. بيد أن أولادهم دخلوا أرض الميعاد فيما بعد. وبسبب هذا الإثم العظيم، قتلت الحيّات والثعابين حوالي ٧٠,٠٠٠ من أجدادنا في التيه.

بحق الحيّ الذي لا يموت والذي نفسي بيديه، إن سارق الشرف يستحقّ عقابًا أكبر من الذي يسرق الإنسان متاعه وحياته. والذي ينصت إلى المتذمّر الشاكي ويتعاطف معه، هو أيضًا مجرم، لأن المتذمّر يحتضن الشيطان في لسانه، في حين أن المستمع يحتضن الشيطان في أذنه.

يا نفسُ ! إذا أنت أظهرت مشيئتك، من دون أن تكون مشروطة بمشيئة الله، فأنت من أكبر اللصوص، لأنك سرقت شرف الله ومجده. فالمشيئة هي من اختصاص الله وحده، لا من اختصاصك. فكم من عزيمة عزمت واتّكلت عليها، هدم الله بنيانها من

أساسه ! يقول الإمام الحسين عليه السلام في دعاء عرفة: "إِلهِي كَمْ مِنْ طاعَةٍ بنَيْتُها وَحالَةٍ شَيَّدْتُها هَدَمَ اعْتِمادِي عَلَيْها عَدْلُكَ بَلْ أَقالَنِي مِنْها فَضْلُكَ".

يا نفسُ ! وكم من حالات فسخ العزائم ونقض الهمم أيقظت الضمائر إلى معرفة الله تعالى ! بلى أيقظت الضمائر إلى أن هناك قوّة عظمى تحول بينك وبين ما تريدين، أو تسهّل عليك المستحيل. يقول الإمام عليّ عليه السلام: "عَرَفْتُ اللهَ سُبْحَانَهُ بِفَسْخِ الْعَزَائِمِ، وَحَلِّ الْعُقُودَ، نَقْضِ الْهِمَم". ويقول الإمام الحسين عليه السلام في دعاء عرفة: " إِلهِي إِنَّ اخْتِلافَ تَدْبِيرِكَ وَسُرْعَةَ طَواءِ مَقادِيرِكَ مَنَعَا عِبادَكَ العارِفِينَ بِكَ عَنِ السُّكُونِ إِلى عَطاءٍ وَاليَأْسِ مِنْكَ فِي بَلاءٍ".

يا نفسُ ! فاستشاط الفريسيون غضبًا لدى سماعهم ذلك، لأنهم لم يستطيعوا إدانة حديثه.

يا نفسُ ! فاقترب مطبّب إلى عيسى وقال: أيها المعلّم الطيب ! إن الله كان يعلم مسبقًا أن أجدادنا في التيه، سوف يتدهورون صحّيًا، فلماذا لم يعطهم القمح والفواكه ؟

يا نفسُ ! أجاب عيسى: أنت تناديني بالطيّب، ولكنك تخطئ، لأن الله وحده هو الطيّب. وإنك تخطئ أكثر بسؤالك، لماذا لم يفعل الله حسب عقلك. مع ذلك سوف أردّ عليك. أخبرك أن الله خالقنا وبارئنا، لا يعمل بموجب إرادتنا، ولذلك ليس مباحًا للمخلوق، أن ينشد هوى نفسه، بل أن ينشد شرف الله خالقه وبارئه، ويبحث عنه ويفتّش عنه في كل شيء، كي يعتمد المخلوق على الخالق، لا الخالق على المخلوق.

بحق الحيّ الذي لا يموت والذي نفسي بيديه، لو أعطى الله الإنسان كل شيء لطغى، ولاعتبر نفسه سيدًا على الجنة، ولم يحسب نفسه عبدًا لله. لذلك فإن الله تبارك اسمه، منعه من الطعام، كي يبقى الإنسان تابعًا خاضعًا مذعنًا لله سبحانه وتعالى.

والحق أقول لك، من كانت عينه صافية، رأى كل شيء صافيًا، واجتذبت عينه الضوء، حتى من الظلمة نفسها. أما الأعمى فلا يستطيع ذلك. ولذلك أقول لك: لو لم يذنب الإنسان، لما عرفت أنا ولا أنت رحمة الله وصلاحه واستقامته. ولو أن الله قد جعل الإنسان غير قادر على الذنب، لكان الإنسان كفؤًا وندًّا لله، في ذلك الأمر.

لهذا خلق الله تعالى الإنسان طيّبًا وصالحًا، بيد أنه سبحانه جعل الإنسان حرًّا في أن يفعل ما يسرّه ويرضيه، بخصوص حياته، وفلاحه أو هلاكه.

يا نفسُ ! فتحيّر المطبّب وذهل واندهش من هذا الجواب، وغادر في حيرة وارتباك.

يا نفسُ ! ضعي هذه الدنيا الصغيرة التي نسمّيها الطبيعة وضآلتها في سياق عظمة الآخرة.

يا نفسُ ! يقول الله تعالى: أَوَ مَن كَانَ مَيْتاً فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُوراً يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ[1].

يا نفسُ ! نعم إن الطبيعة هي الموت، والمطمئنّ بها كمن كان في الظلمات ليس بخارج منها. والعقل الروحاني هو الحياة وهو النور. وأيّ نفس وردت إلى عالم الطبيعة فلا بدّ لها أن تسلك إما الموت والظلمات وإما الحياة والنور، إما القتل وإما الأسر، فالقتل هو الموت الاختياري قبل الموت، والأسر هو طول العذاب ونكد الحياة الدنيا، وهوان العيش فيها، وذلّ العبودية للمال والجاه.

يا نفسُ ! فمن اختار القتل فقد مات عزيزًا، وكان موته حياة له، واستراح من الأسر وهوانه وطول ذلّه. ومن اختار الموت الاختياريّ قبل الموت الحقيقيّ فقد عاش في دار

---

[1]: [الأنعام : ١٢٢].

الخلود عزيزًا، وكان موته حياة له، واستراح من عبوديّة الدنيا والمال والمنال وهوانه وطول ذلّه.

يا نفسُ ! فاخرجي من قوقعة ضيق الطبيعة، وارتقي مدارج السموّ، واخرجي من متاهات العلم الناقص، وارتقي إلى الإحاطة الكاملة في مدارج العقل، ولا تتواني في جهاد الطبيعة العمياء، ولا تنزعي سلاحك، ولا تكفّي نفسك، ولا تستسلمي لعدوّك، كي لا تأسري في أغلاله وأصفاده وسلاسله وقيوده، وفي نيران جهله وضلاله وعبوديته.

يا نفسُ ! أين الذين وصفهم الله تعالى بهذه الآية: إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلَاسِلَا وَأَغْلَالاً وَسَعِيراً[1] ، من الذين وصفهم جلّ من قائل بهذه الآيات: إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُوراً* عَيْناً يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيراً[2] ! أين الثرى من الثريّا!

يا نفسُ ! من قاتل نفسه الأمّارة بسلاح نهج السلوك والذكر والجهاد الأكبر ومعرفة النفس، وحمى نفسه ولم يستسلم لعدوّه اللدود، ألا هو الطبيعة العمياء المتغلغلة في مخّه وشبكة أعصابه، فقد فاز ونال الشهادة العظمى.

يا نفسُ ! لا تستسلمي في نصف الطريق، ولا تبقي على الصراط، فمن بقي على الصراط بقي في بعده عن الله محرومًا من جوار الحق تعالى.

يا نفسُ ! أكملي مشوار السير والسلوك، قبل أن ينتزعك الموت انتزاعًا، واستمدّي قوّتك وطاقتك من المعين الأزليّ الأبديّ الذي لا ينضب، الذي هو عين الحياة وينبوع الطاقات.

---

(١): [الإنسان : ٤].

(٢): [الإنسان : ٥ - ٦]

يا نفسُ ! إن جوار الحقّ تعالى والالتصاق به حريّ أن يغدق عليك مواهب عين الحياة، ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على بال بشر.

يا نفسُ ! هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون. فالعلم والمعرفة من نتاج العقل، فدعي المعرفة تلعب دورًا أكبر في ساحة هذه الحرب الضروس بين الروح والنفس، فإن الحياة عقيدة وجهاد.

يا نفسُ ! انظري كيف شوّه الشيطان المتمثّل في النفس أو الدنيا أو الطبيعة فطرتك التي فطرك الله عليها، وكيف تعاونت على ذلك عوامل الطبيعة حولك، من الناس الذين مسخواعلى شكل الدنيا، فصارت فطرتك أقرب إلى البهيمة منها إلى الملائكة.

يا نفسُ ! صرت عندما أتكلّم عن فطرتك وكأنّي أتكلّم حول أشياء صعبة معقّدة، تراها العقول الصغيرة علما صعب المنال، وصعبًا على الفهم والإدراك.

يا نفسُ ! وعندما أتكلّم عن ظهور الله في فطرتك وكأني أتكلّم حول فلسفة تصعب مفاهيمها على العقول.

يا نفسُ ! يقول الله تعالى: فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ[1].

يا نفسُ ! إن الفطرة الصافية هي الدين القيّم، فأقيمي وجهك للدين حنيفًا، واصرفي كل همّك لله الذي يظهر في فطرتك، فهو خالقك وبارئك وفاطرك ورازقك، وهو الذي يهب لك الطاقات والعقل والفهم والإدراك، وكلّ شيء تملكينه في هذه الدنيا، ثم يستردّ عند موتك ما قد خوّلك في هذه الحياة الدنيا. **فهو يفعل ما يشاء بحكمته ويحكم ما يريد بعزّته.**

---

[1]: [الروم : ٣٠].

يا نفسُ ! إن تعدّي نعم الله ومننه وكرائم منحه لا تحصيها. هو الذي منّ عليك، هو الذي أنعم، هو الذي أحسن، هو الذي أجمل، هو الذي أفضل، هو الذي أكمل، هو الذي رزق، هو الذي وفّق، هو الذي أعطى، هو الذي أغنى، هو الذي أقنى، هو الذي آوى، هو الذي كفى، هو الذي هدى، هو الذي عصم، هو الذي ستر، هو الذي غفر، هو الذي أقال، هو الذي مكّن، هو الذي أعزّ، هو الذي أعان، هو الذي عضد، هو الذي أيّد، هو الذي نصر، هو الذي شفى، هو الذي عافى، هو الذي أكرم.

يا نفسُ ! والطبيعة الجاهلة فيك هي التي أساءت، هي التي أخطأت، هي التي عصت، هي التي همّت، هي التي جهلت، هي التي غفلت، هي التي سهت، هي التي اعتمدت، هي التي تعمّدت، هي التي وعدت، هي التي أخلفت، هي التي نكثت.

يا نفسُ ! فانظري ماذا تختارين: الله أو الهوى، النفس المطمئنة أو النفس الأمّارة، السعادة أو الشقاء !

يا نفسُ ! قال الحواريّون مخاطبين عيسى عليه السلام:

حقًّا إن الله يتكلّم في وجودك. لأن البشر لم يتكلّم قطّ، كما تتكلّم، ولم يكن في مقدور البشر، أن ينطق بما تنطق به.

أجاب عيسى: صدّقوني إن الله سبحانه وتعالى، حينما اصطفاني وبعثني إلى بني اسرائيل، أعطاني كتابًا كالمرآة الصافية، نزل على قلبي، بحيث أن كل ما أنطق به، يأتي من ذلك الكتاب. وحينما ينتهي ذلك الكتاب، ويتوقّف عن التفجّر من فمي، سوف أرفع عن هذه الأرض.

فقال بطرس: أيها المعلّم هل الذي تنطق به الآن مكتوب في ذلك الكتاب ؟

أجاب عيسى: كل ما أنطق به عن علم الله، وعن خدمة الله وعبادته، وعن علم البشر، وعن خلاص البشر وفلاحه، كل هذا يأتي من ذلك الكتاب، والذي هو إنجيلي.

فسأل بطرس: هل مكتوب في ذلك الكتاب عن مجد الجنة وجلالها وبهائها وعظمتها ؟

أجاب عيسى: اسمعوا لي وأنصتوا، لأني سأخبركم عن كيفيّة الجنة، وكيف أن القدّيسين والمؤمنين، سوف يمكثون فيها، إلى ما لا نهاية، لأنها دار الخلود. والخلود من أعظم بركات الجنة ونعمها وسعاداتها، نظرًا إلى أن كل شيء، مهما كانت عظمته، يكون صغيرًا جدًّا، بل صفرًا ولا شيء، إن كانت له نهاية.

إن الجنة دار يدّخر فيه الله مباهجه وبسطه وسروره وفرحه، وهي عظيمة للغاية، بحيث أن أرضها التي تطؤها أقدام القدّيسين وأولياء الله الصالحين ثمينة وفاخرة ونفيسة للغاية، بحيث أن درهما واحدًا منها، أثمن وأفخر وأنفس من آلاف العالمين.

إن هذه المباهج شاهدها أبونا نبيّ الله داود، لأن الله أراه إياها، حتى يشهد أمجاد الجنة وجلالها وبهائها وعظمتها. وعندما رجع إلى نفسه، أغمض عينيه بكلتي يديه، وبكى وانتحب قائلًا: لا تنظري يا عيني إلى هذا العالم كرّة أخرى، لأنه جميعه باطل وسراب، ولا يوجد شيء طيّب هاهنا.

وعن هذه المباهج يقول أشعياء النبيّ: لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على بال بشر، تلك المباهج التي هيّأها الله لعاشقيه ومحبّيه.

أتعلمون لماذا لا يشاهد البشر، مثل هذه المباهج، التي لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على بال بشر ؟ لأن البشر في عيشه في أسفل سافلين، غير جدير بمشاهدة مثل هذه المشاهد. فلهذا على الرغم من أن أبانا داود قد رآها حقًّا، إلا أنه لم يرها

بعيونه البشرية، بل إن الله رفع روحه ودمجها معه، وبالاتّحاد مع الله، رأى تلك المشاهد، بالنور الإلهيّ.

بحق الحيّ الذي لا يموت والذي نفسي بين يديه، نظرًا إلى أن مباهج الجنة غير محدودة ولامتناهية، وأن الإنسان محدود متناهي، لذا فإن الإنسان لا يستطيع احتوائها، كما لا تستطيع الجرّة الفخاريّة الخزفيّة احتواء البحر.

فانظروا كم هو جميل هذا العالم في فصل الصيف حين تؤتي الأرض ثمارها ! إن الفلّاح يسكره الجذل والفرح، بسبب الحصاد الوافر، فيملؤ الوديان والجبال غناء، لأنه يحبّ ثمار يديه وكدّه وكدحه حبًّا جمًّا. والآن ارفع قلبك إلى الجنة، حيث الوفرة من الثمار والفواكه، من تلك التي زرعها وفلحها الخالق العظيم.

بحق الحيّ الذي لا يموت، إن هذا يكفيكم للتعرّف على الجنة، نظرًا إلى أن الله قد خلق الجنة، ليكون دارًا لمباهجه.

يا ترى ماذا تتوقّع من الطيبة المطلقة إلا الطيبة المطلقة بلا حدود ! ويا ترى ماذا تتوقّع من الجمال المطلق إلا الجمال المطلق بلا حدود ! أنت في خطأ جسيم إذا فكّرت غير ذلك. وأنت في ضلال بعيد، إذا فكّرت أن الله جلّ وعلا لا يملك الطيبة المطلقة، والجمال المطلق، بلا حدود ولا نهاية.

لقد خاطب الله الإنسان الذي يخدمه ويعبده بكل إخلاص قائلًا:

أنا مطّلع على أعمالك، وبأنك تعمل من أجلي. بحقي أنا الحيّ القيّوم، إن حبّك لي ليس أوسع من فضلي وجودي وكرمي. ولأنك تخدمني وتعبدني أنا الله خالقك وبارئك، عارفًا بأنك من صنع يدي، وأنت لا تسألني شيئًا غير فضلي ونعمتي ومنّتي وصفحي وعفوي ومغفرتي ورحمتي ورفقي ورأفتي، كي تخدمني وتعبدني بكلّ إخلاص، وأنت لا تضع حدًّا ولا

هدفًا لخدمتي وعبادتي، نظرًا إلى أنك تشتاق إليّ، وترغب في خدمتي وعبادتي أبد الآبدين ، كذلك سأفعل أنا بك، لأني سأكافئك، كما أنك الله وكما أنك عدلي.

وأنا لن أكافئك فقط، بأن أضع في يديك وفرة الجنة وفيضها وغزارتها، بل سوف أعطيك نفسي كهديّة. وكما أنك تشتاق، بكل فرح وسرور، أن تكون عبدي أبد الآبدين، كذلك سأجعل لك أجري وثوابي أبد الآبدين.

يا نفسُ ! واستمرّ عيسى في كلامه إلى الحواريّين قائلًا: يا ترى ماذا تفكّرون وتتصوّرون عن الجنة ! هل هناك عقل يقدر على درك مثل هذه الثروات والمباهج ؟ إن الإنسان ينبغي له علم، بعظمة علم الله، إذا أراد أن يعرف ما يريد الله إعطائه لعبيده المخلصين.

هل رأيتم الملك هيرود، كيف يقدّم هديّة ما إلى أحد أفراد حاشيته المفضّلين وأصحاب الزلفى عنده ؟

أجاب جون: لقد رأيت ذلك مرّتين. وبالتأكيد إن عشر ذلك الذي يعطيه، يكفي لرجل فقير.

فقال عيسى: ولكن إذا تقدّم رجل فقير إليه ماذا سيعطيه ؟

فأجاب جون: فلسًا أو فلسين.

يا نفسُ ! فقال عيسى: فليكن هذا كتابك، تدرس فيه علم الجنة. لأن كل ما أعطاه الله لجسد الإنسان في هذه الدنيا، تساوي فلسًا، أي بالضبط ما يعطيه الملك هيرود للرجل الفقير. بيد أن ما يعطيه الله للجسد والروح في الجنة، تساوي كما أن هيرود يعطي كل ما عنده، بل يعطي حياته رخيصة، لأحد من عبيده المخلصين أصحاب الزلفى عنده.

يقول الله لمن يحبّه ويخدمه بكل إخلاص:

يا عبدي اذهب، وعدّ حبّات رمل البحر، وانظر كم عددها. ولو أعطى لك البحر حبّة واحدة من الرمل، هل يترائى لك ذلك ضئيلًا ؟ بالتأكيد نعم ! أنا خالقك الحيّ القيّوم، كل ما أعطيته للأمراء والملوك على هذه الأرض، هي أقلّ من حبّة رمل، التي يعطيك إيّاها البحر، بالمقارنة مع ما سوف أعطيك في جنّتي.

يا نفسُ ! واستأنف عيسى قائلًا: تأمّلوا وتبصّروا في وفرة الجنة وفيضها وغزارتها. إذا كان الله قد أعطى للإنسان في هذه الدنيا، درهمًا واحدًا من الخير والرفاهية، فإنه سيعطيه في الجنة ألف ألف أضعاف.

تصوّر كمّيّة الفواكه في هذه الدنيا، وكمّيّة الطعام، وكمّيّة الورود والزهور، وكمّيّة الأشياء التي هي في اختيار الإنسان !

بحق الحيّ الذي لا يموت والذي نفسي بين يديه، كما أن البحر يطفح بالرمل الغزير، حتى بعد ما يتسلّم الإنسان حبّة منه، كذلك ستكون جودة التين وكمّيّته في الجنة، تفوق جودة التين وكمّيّته في هذه الدنيا. وعلى نفس المنوال، ستكون حالة الأشياء الأخرى في الجنة.

والحق أقول لكم بأنه إضافة إلى كل هذا، فكما أن جبلًا من الذهب واللؤلؤ أفخر وأنفس من ظلّ النمل، كذلك فإن مباهج الجنة أفخر وأنفس من كل المباهج التي يتمتّع بها أمراء العالم، ما كان وما يكون إلى يوم القيامة.

يا نفسُ ! وممّا قاله جعفر بن محمد الصادق عليه السلام عن وصايا الله عزّ وجلّ لعيسى عليه السلام:-

قال: كان فيما وعظ الله تبارك وتعالى به عيسى بن مريم عليه السلام أن قال له:-

يَا عِيسَى شَمِّرْ، فَكُلُّ مَا هُوَ آتٍ قَرِيبٌ، وَ اقْرَأْ كِتَابِي وَ أَنْتَ طَاهِرٌ، وَ أَسْمِعْنِي مِنْكَ صَوْتاً حَزِيناً، يَا عِيسَى لَا خَيْرَ فِي لَذَاذَةٍ لَا تَدُومُ، وَ عَيْشٍ مِنْ صَاحِبِهِ يَزُولُ.

يَا ابْنَ مَرْيَمَ لَوْ رَأَتْ عَيْنُكَ مَا أَعْدَدْتُ لِأَوْلِيَائِيَ الصَّالِحِينَ، ذَابَ قَلْبُكَ، وَ زَهَقَتْ نَفْسُكَ شَوْقاً إِلَيْهِ. فَلَيْسَ كَدَارِ الْآخِرَةِ دَارٌ، تَجَاوَرَ فِيهَا الطَّيِّبُونَ، وَيَدْخُلُ عَلَيْهِمْ فِيهَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ، وَهُمْ مِمَّا يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ أَهْوَالِهَا آمِنُونَ. دَارٌ لَا يَتَغَيَّرُ فِيهَا النَّعِيمُ، وَلَا يَزُولُ عَنْ أَهْلِهَا.

يَا ابْنَ مَرْيَمَ نَافِسْ فِيهَا مَعَ الْمُتَنَافِسِينَ، فَإِنَّهَا أُمْنِيَّةُ الْمُتَمَنِّينَ، حَسَنَةُ الْمَنْظَرِ. طُوبَى لَكَ يَا ابْنَ مَرْيَمَ، إِنْ كُنْتَ لَهَا مِنَ الْعَامِلِينَ، مَعَ آبَائِكَ آدَمَ وَ إِبْرَاهِيمَ فِي جَنَّاتٍ وَ نَعِيمٍ، لَا تَبْغِي بِهَا بَدَلًا وَ لَا تَحْوِيلًا، كَذَلِكَ أَفْعَلُ بِالْمُتَّقِينَ.

يَا عِيسَى اهْرُبْ إِلَيَّ مَعَ مَنْ يَهْرُبُ، مِنْ نَارٍ ذَاتِ لَهَبٍ، وَ نَارٍ ذَاتِ أَغْلَالٍ وَ أَنْكَالٍ، لَا يَدْخُلُهَا رَوْحٌ، وَ لَا يَخْرُجُ مِنْهَا غَمٌّ أَبَداً، قِطَعٌ كَقِطَعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ، مَنْ يَنْجُ مِنْهَا يَفُزْ، وَلَنْ يَنْجُوَ مِنْهَا مَنْ كَانَ مِنَ الْهَالِكِينَ. هِيَ دَارُ الْجَبَّارِينَ وَ الْعُتَاةِ الظَّالِمِينَ، وَكُلِّ فَظٍّ غَلِيظٍ، وَكُلِّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ.

يَا عِيسَى بِئْسَتِ الدَّارُ لِمَنْ رَكَنَ إِلَيْهَا، وَ بِئْسَ الْقَرَارُ دَارُ الظَّالِمِينَ. إِنِّي أُحَذِّرُكَ نَفْسَكَ فَكُنْ بِي خَبِيراً.

يَا عِيسَى كُنْ حَيْثُ مَا كُنْتَ مُرَاقِباً لِي، وَ اشْهَدْ عَلَى أَنِّي خَلَقْتُكَ وَ أَنْتَ عَبْدِي، وَ أَنِّي صَوَّرْتُكَ وَإِلَى الْأَرْضِ أَهْبَطْتُكَ.

يَا عِيسَى لَا يَصْلُحُ لِسَانَانِ فِي فَمٍ وَاحِدٍ، وَلَا قَلْبَانِ فِي صَدْرٍ وَاحِدٍ، وَكَذَلِكَ الْأَذْهَانُ.

يَا عِيسَى لَا تَسْتَيْقِظَنَّ عَاصِياً وَ لَا تَسْتَنْبِهَنَّ لَاهِياً، وَافْطِمْ نَفْسَكَ عَنِ الشَّهَوَاتِ الْمُوبِقَاتِ، وَكُلُّ شَهْوَةٍ تُبَاعِدُكَ مِنِّي فَاهْجُرْهَا، وَاعْلَمْ أَنَّكَ مِنِّي بِمَكَانِ الرَّسُولِ الْأَمِينِ، فَكُنْ

مِنِّي عَلَى حَذَرٍ، وَاعْلَمْ أَنَّ دُنْيَاكَ مُؤَدِّيَتُكَ إِلَيَّ، وَأَنِّي آخُذُكَ بِعِلْمِي. فَكُنْ ذَلِيلَ النَّفْسِ عِنْدَ ذِكْرِي، خَاشِعَ الْقَلْبِ حِينَ تَذْكُرُنِي، يَقْظَانَ عِنْدَ نَوْمِ الْغَافِلِينَ.

يَا عِيسَى هَذِهِ نَصِيحَتِي إِيَّاكَ وَ مَوْعِظَتِي لَكَ، فَخُذْهَا مِنِّي وَ إِنِّي رَبُّ الْعَالَمِينَ. يَا عِيسَى إِذَا صَبَرَ عَبْدِي فِي جَنْبِي، كَانَ ثَوَابُ عَمَلِهِ عَلَيَّ، وَ كُنْتُ عِنْدَهُ حِينَ يَدْعُونِي، وَ كَفَى بِي مُنْتَقِماً مِمَّنْ عَصَانِي. أَيْنَ يَهْرُبُ مِنِّي الظَّالِمُونَ ؟

يَا عِيسَى أَطِبِ الْكَلَامَ، وَ كُنْ حَيْثُمَا كُنْتَ عَالِماً مُتَعَلِّماً. يَا عِيسَى أَفِضْ بِالْحَسَنَاتِ إِلَيَّ، حَتَّى يَكُونَ لَكَ ذِكْرُهَا عِنْدِي، وَتَمَسَّكْ بِوَصِيَّتِي، فَإِنَّ فِيهَا شِفَاءً لِلْقُلُوبِ.

المؤلف: سيد تقي سيد حسين الموسوي

الهاتف: ٠٠٩٦٨٩٩٤١٩٤٦

الموقع الإلكتروني

www.taqimusawi.com

١٦/٥/٢٠١٦

الرسول آخذ بِحُجَزِنا عن النار

يقول نبيّ الله إدريس عليه وعلى نبيّنا محمد صلّى الله عليه وآله وسلّم آلاف التحية والسلام في الفصل الثالث من صحيفته معاذلة النفس، التي هي صحيفة من صحف إدريس عليه السلام ما يلي:

> يا نفسُ ! إنه من نزع سلاحه وكفّ نفسه واستسلم لعدوّه وَجَب أَسْرُه. ومن قاتل بسلاحه وحمى نفسه ولم يستسلم لعدوّه، وجب قتله. وأيّ نفسٍ وردت إلى عالم الطبيعة فلا بدّ لها أن تسلك إحدى هاتين الحالتين: إمّا القتل وإمّا الأَسْر. فمن اختار الأسر فقد اختار طول العذاب وهوان الاستعمال وذلّ العبودية. ومن اختار القتل فقد مات عزيزًا، وكان موته حياةً له، واستراح من الأسر وهوانه وطول ذُلّه.

يا نفسُ ! إن ورودك إلى عالم الطبيعة كمثل ورودك إلى ساحة حرب لقتال عدوّ شرس، حيث تتوقّعين إما الأسر وإما القتل، ولا تتوقّعين هزيمة العدوّ اللدود.

يا نفسُ ! إن هذا العدوّ باطنه سمّ زعاف، لكن ظاهره يخدع الكثيرين، بل يبهجهم ويسرّهم منظره، وتستحوذ عليهم ملذّاته، وتبهرهم مناظره الخلّابة، ويستهويهم مخدعه ومضجعه الناعم، ويستسيغون طعمه وذائقته، ويسكرهم شرابه.

يا نفسُ ! إنما الكثيرون في حضور هذا العدوّ الخدّاع عبيد مستسلمون، وأرقّاء منهزمون، وأذلّاء منكسرون، تستهويهم ذلّة عبوديته، ويحسبون سيفه عمودًا من عسل، حلوة مذاقه، جذّابة منظره.

يا نفسُ ! إنما هم يحسبون سيفه البتّار وأدوات فتكه عصا سحريّة، ناعمًا ملمسها، يتهافتون على أدوات فتكه كما تتهافت الفراش والجنادب على النار.

يا نفسُ ! يقول رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم لأصحابه: "مَثَلِي وَمَثَلُكُمْ كَمَثْلِ رَجُلٍ أَوْقَدَ نَارَاً فَجَعَلَ الفِرَاشَ وَالجَنَادِبَ يَقَعْنَ فِيْهَا وَهُوَ يَذُبُّهُنَّ عَنْهَا، وَأَنَا آخُذُ بِحُجَزِكُمْ عَنِ النَّارِ، وَأَنْتُمْ تُفْلِتُونَ مِنْ يَدِي".

إنما هي نفسي أروضها بالتقوى

يا نفسُ ! إنما الطبيعة أو الدنيا نار يستعذب الكثيرون من البشر لهيبها، وتنبهر عيونهم من أضوائها وألوانها، ويقاتلون بعضهم بعضًا للوقوع في أتونها !

يا نفسُ ! وإنما العقل أو عشق الله كنوز لو عرفها الملوك وأبناء الملوك لقاتلوا بعضهم بعضًا عليها.

يا نفسُ ! إنما مجاهدة الطبيعة أو الدنيا أو النفس هي حرب إغواء وإغراء، يقع الكثيرون من البشر في شباكها، ولا يجدون إلى الانفلات من الشباك سبيلًا.

يا نفسُ ! إنما الطبيعة أو الدنيا أو النفس مثلها كمثل غانية حسناء، لبست أحسن زينتها وأبرزت محاسنها ومفاتنها، يقع في حبائلها ناس كثيرون، تغريهم بجمالها، وتغويهم بمحاسنها ومفاتنها، وتأسر قلوبهم بغنجها ودلالها.

يا نفسُ ! إنما الطبيعة أو الدنيا أو النفس مثلها كمثل العسل المصفّى، يجذب الذباب والنمل بحلاوته، فتنجذب إليه وتأكل منه، ثم تقع فيه هالكة، لا تستطيع الخروج منه.

يا نفسُ ! لو كان جهاد النفس حربًا عاديّة بالسيوف والرماح، لسهل الجهاد واسترحت بقتل عدوّك، لكنها حرب ناعمة لا يمكن ولا يجوز قتل عدوّك فيها، فإن أهلكتها هلكت، ولا مجال للنصر عليها، ولا يمكن هزيمتها إلّا بترويضها، كما يروّض الإنسان فيلًا وحشيًّا.

واستمعي يا نفسُ ! إلى ما يقوله السيد حسين العالم قدّس سرّه، شارحًا أسباب تسميته بالجهاد الأكبر:-

"فقتل الكفار بالسيوف وتضحية النفس في الحروب جهاد أصغر، ومحاربة النفس ومقارعة الشيطان جهاد أكبر. والسبب في ذلك أن في جهاد النفس عدوّك في داخلك، ولهذا العدوّ مكائد كثيرة، وهذه المكائد خفيّة ودقيقة جدًّا تتناسب مع مشرب كل واحد منكم.

إضافة إلى ذلك، إن القوى والجوارح التي يتمتّع بها العدوّ في داخل النفس الإنسانية، هي نفس القوى والجوارح التي يجب على العقل استعمالها في دفع ذلك العدوّ اللدود.

وعلاوة على ذلك، إن في الجهاد الخارجي قتل العدوّ وهلاكه مفيد وليس مضرًّا، في حين أن في الجهاد الداخلي هلاك العدوّ غير جائز، لأن العدوّ هنا عبارة عن النفس، وإذا هلكت النفس هلك الإنسان. ولكن يجب جهاد النفس بأسلوب يجعلها مطيعة للأحكام الإلهية. فلذلك لم يقل الرسول الأكرم ص بأنه قتل شيطانه، بل قال: "أسلم شيطاني على يدي وأعانني الله عليه"[1].

يا نفسُ ! ويقول عليّ عليه السلام في كتاب له إلى عثمان بن حنيف الأنصاري وهو عامله على البصرة: وإنما هي نفسي أروضها بالتقوى لتأتي آمنة يوم الخوف الأكبر، وتثبت على جوانب المزلق.

[1]: من كتابي قدوة الفقهاء والعارفين.

أين الأمم الذين فتنتهم الدنيا بزخارفها

ومن هذا الكتاب وهو آخره:

إِلَيْكِ عَنِّي يَا دُنْيَا فَحَبْلُكِ عَلَى غَارِبِكِ[1]، قَدِ انْسَلَلْتُ مِنْ مَخَالِبِكِ، وأَفْلَتُّ مِنْ حَبَائِلِكِ، واجْتَنَبْتُ الذَّهَابَ فِي مَدَاحِضِكِ[2].

أَيْنَ الْقُرُونُ الَّذِينَ غَرَرْتِهِمْ بِمَدَاعِبِكِ، أَيْنَ الأُمَمُ الَّذِينَ فَتَنْتِهِمْ بِزَخَارِفِكِ، فَهَا هُمْ رَهَائِنُ الْقُبُورِ ومَضَامِينُ اللُّحُودِ.

واللَّه لَوْ كُنْتِ شَخْصاً مَرْئِيّاً وقَالَباً حِسِّيّاً، لأَقَمْتُ عَلَيْكِ حُدُودَ اللَّه فِي عِبَادٍ غَرَرْتِهِمْ بِالأَمَانِيِّ، وأُمَمٍ أَلْقَيْتِهِمْ فِي الْمَهَاوِي، ومُلُوكٍ أَسْلَمْتِهِمْ إِلَى التَّلَفِ، وأَوْرَدْتِهِمْ مَوَارِدَ الْبَلَاءِ إِذْ لَا وِرْدَ ولَا صَدَرَ[3].

هَيْهَاتَ ! مَنْ وَطِئَ دَحْضَكِ[4] زَلِقَ، ومَنْ رَكِبَ لُجَجَكِ غَرِقَ، ومَنِ ازْوَرَّ عَنْ حَبَائِلِكِ[5] وُفِّقَ، والسَّالِمُ مِنْكِ لَا يُبَالِي إِنْ ضَاقَ بِه مُنَاخُه[6]، والدُّنْيَا عِنْدَه كَيَوْمٍ حَانَ انْسِلَاخُه[7] اعْزُبِي عَنِّي فَوَ اللَّه لَا أَذِلُّ لَكِ فَتَسْتَذِلِّينِي، ولَا أَسْلَسُ[8] لَكِ فَتَقُودِينِي.

---

(1): ألقيت حبلك على عنقك.

(2): مزالقك.

(3): إذ لا أمان في الورود إليها أو الخروج منها.

(4): مزلقك.

(5): ومن تحاشى مصائدك.

(6): إن ضاقت به معيشته.

(7): حانت نهايته.

(8): ولا أسلّم لك العنان.

وَأَيْمُ اللهِ - يَمِيناً أَسْتَثْنِي فِيهَا بِمَشِيئَةِ اللهِ - لأُرُوضَنَّ نَفْسِي رِيَاضَةً تَهُشُّ مَعَهَا إِلَى الْقُرْصِ[١] إِذَا قَدَرْتُ عَلَيْهِ مَطْعُوماً، وَتَقْنَعُ بِالْمِلْحِ مَأْدُوماً[٢]، وَلأَدَعَنَّ مُقْلَتِي كَعَيْنِ مَاء نَضَبَ مَعِينُهَا، مُسْتَفْرِغَةً دُمُوعُهَا.

أَتَمْتَلِئُ السَّائِمَةُ[٣] مِنْ رِعْيِهَا فَتَبْرُكَ[٤]، وتَشْبَعُ الرَّبِيضَةُ[٥] مِنْ عُشْبِهَا فَتَرْبِضَ[٦]، ويَأْكُلُ عَلِيٌّ مِنْ زَادِه فَيَهْجَعَ ؟ قَرَّتْ إِذاً عَيْنُه إِذَا اقْتَدَى بَعْدَ السِّنِينَ الْمُتَطَاوِلَةِ بِالْبَهِيمَةِ الْهَامِلَةِ[٧] والسَّائِمَةِ الْمَرْعِيَّةِ[٨] !

طُوبَى لِنَفْسٍ أَدَّتْ إِلَى رَبِّهَا فَرْضَهَا، وعَرَكَتْ بِجَنْبِهَا بُؤْسَهَا[٩]، وهَجَرَتْ فِي اللَّيْلِ غُمْضَهَا[١٠]، حَتَّى إِذَا غَلَبَ الْكَرَى عَلَيْهَا، افْتَرَشَتْ أَرْضَهَا، وتَوَسَّدَتْ كَفَّهَا، فِي مَعْشَرٍ أَسْهَرَ عُيُونَهُمْ خَوْفُ مَعَادِهِمْ، وتَجَافَتْ عَنْ مَضَاجِعِهِمْ جُنُوبُهُمْ، وهَمْهَمَتْ بِذِكْرِ رَبِّهِمْ شِفَاهُهُمْ، وتَقَشَّعَتْ بِطُولِ اسْتِغْفَارِهِمْ ذُنُوبُهُمْ، أُولئِكَ حِزْبُ الله، أَلا إِنَّ حِزْبَ الله هُمُ الْمُفْلِحُونَ.

فَاتَّقِ اللَّه يَا ابْنَ حُنَيْفٍ، ولْتَكْفُفْ أَقْرَاصُكَ، لِيَكُونَ مِنَ النَّارِ خَلَاصُكَ.

---

(١): تقبل على القرص بفرح.

(٢): وتقنع بالملح إدامًا.

(٣): الحيوانات التي ترتع.

(٤): فتنام.

(٥): الأغنام.

(٦):فتذهب إلى مكان نومها.

(٧): الحيوانات الطليقة.

(٨): الأغنام التي ترتع.

(٩): وتحمّلت المشاكل.

(١٠): النوم الهنيء.

فكشفنا عنك غطاءك

يا نفسُ ! إنك لا تميّزين خطورة الدنيا إلا عندما تضعينها في كفّة ميزان وتضعين حياتك الخالدة في الآخرة في كفّة أخرى. ولدت في عالم الطبيعة بنفس هي من عجينة الطبيعة.

يا نفسُ ! لقد قال الله تعالى: <وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ* إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ* مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ* وَجَاءتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ* وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ذَلِكَ يَوْمُ الْوَعِيدِ* وَجَاءتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ* لَقَدْ كُنتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَاءكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ>[1].

يا نفسُ ! إنك الطبيعة وإنك الدنيا وإنك النفس، ويشهد الله إني أخاطبك وأناصحك وأعاذلك ولا أتركك، حتى تستقيمي على حبّ الله، وحتى تخرجي من قوقعة الجهالة إلى العالم الرحب من المعرفة وعشق الله، وحتى تخرجي من ضيق حبّ الدنيا إلى أعلى علّيين من حبّ الله.

يا نفسُ ! مالك ! كلّما عاذلتك وناصحتك ما سمعت كلامي، وإذا سمعت كلامي ما وعيته، وإذا وعيته ما استقمت على تطبيقه، وإذا طبّقته ما ثبتّ على ذلك، وما ثابرت عليه، وما صبرت عليه ! كأن الشيطان دائمًا وراءك يوسوس بك أن ترجعي عن طريق الصواب، وتطمئنّي بالحياة الدنيا !

يا نفسُ ! إنك لا تستقيمين على مشيئة ربّك، كأنك في واد، هو الجهل بعينه، وإرادة الله ومشيئته في واد، هو الحكمة والعزّة بعينها ! فلماذا لا تتناغمين مع مشيئة الوجود

---

[1]: [ق : ١٦ - ٢٢].

البحت البسيط وإرادته ؟ ولماذا لا تحبّين أن يختار لك الله ما يشاء من قضائه، وهو واقع بك أردت ذلك أو أبيت ! ولماذا لا تحبّين أن يبارك لك الله من قدره، والقدر حتم محتوم، فلماذا لا تريدين البركة في قدر الله ؟

يا نفسُ ! إنك أصعب من الفيل المتوحّش، فكم يعاني الفيل من عذاب ومعاناة تحت ترويض أصحابه، حتى يستقيم على مشيئتهم ! وإن ترويضك يا نفسُ لأصعب بكثير، فوحشيّتك فاقت وحشيّة الفيل المتوحّش !

يا نفسُ ! يقول الله تعالى: <إِنَّ الَّذِينَ لاَ يَرْجُونَ لِقَاءنَا وَرَضُواْ بِالْحَياةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنُّواْ بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ>[1].

يا نفسُ ! مالك تميلين إلى الدنيا، ولا ترجين لقاء الله، وترضين بالحياة الدنيا وتطمئنّين بها، وأنت عارفة أنها زائلة فانية، وعن قريب عنها راحلة، غدّارة بأهلها، مُنْقَطِعَةٌ بَالِيَةٌ فَانِيَةٌ، وَالِارْتِحَالَ مِنها حَثِيثٌ قَرِيبٌ، وَإِنَّهُ وَإِنْ طَالَ الْعُمُرُ فِيهَا فَإِنَّ الْمَوْتَ نَازِلٌ، وَالظَّاعِنَ لَا مَحَالَةَ رَاحِلٌ. أَعْمَارها قَصِيرَة، وَحُتُوفها رَاصِدَة، وَسِهَامها قَاصِدَة، وَأَبْدَانها ضَعِيفَة مُسْتَسْلِمَة، غَيْرَ مُمْتَنِعَةٍ وَ لَا حَصِينَةٍ.

---

[1]: [يونس : ٧].

هوان الدنيا

يا نفسُ ! لقد جاء في قصّة بوذا وهو ابن الملك ما يلي:-

قَالَ ابْنُ الْمَلِكِ زِدْنِي أَيُّهَا الْحَكِيمُ تَزْهِيداً فِي الدُّنْيَا وَ أَخْبِرْنِي بِحَالِهَا.

قال الحكيم واسمه بلوهر يا ابن الملك إن الدنيا لا تعدو أن تكون كما نعت الله عز وجل لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الأموال والأولاد[1].

وقَالَ إِنِّي لَمَّا رَأَيْتُ الدُّنْيَا دَارَ تَصَرُّفٍ وَ زَوَالٍ، وَ تَقَلُّبٍ مِنْ حَالٍ إِلَى حَالٍ، وَرَأَيْتُ أَهْلَهَا فِيهَا أَغْرَاضاً لِلْمَصَائِبِ، وَ رَهَائِنَ لِلْمَتَالِفِ، وَرَأَيْتُ صِحَّةً بَعْدَهَا سُقْماً، وَشَبَاباً بَعْدَهُ هَرَماً، وَغِنًى بَعْدَهُ فَقْراً، وَفَرَحاً بَعْدَهُ حُزْناً، وَعِزّاً بَعْدَهُ ذُلًّا، وَرَخَاءً بَعْدَهُ شِدَّةً، وَأَمْناً بَعْدَهُ خَوْفاً، وَحَيَاةً بَعْدَهَا مَمَاتاً، وَرَأَيْتُ أَعْمَاراً قَصِيرَةً، وَحُتُوفاً رَاصِدَةً[2]، وَسِهَاماً قَاصِدَةً، وَأَبْدَاناً ضَعِيفَةً مُسْتَسْلِمَةً غَيْرَ مُمْتَنِعَةٍ وَ لَا حَصِينَةٍ، عَرَفْتُ أَنَّ الدُّنْيَا مُنْقَطِعَةٌ بَالِيَةٌ فَانِيَةٌ، وَعَرَفْتُ بِمَا ظَهَرَ لِي مِنْهَا مَا غَابَ عَنِّي مِنْهَا، وَعَرَفْتُ بِظَاهِرِهَا بَاطِنَهَا، وَغَامِضَهَا بِوَاضِحِهَا، وَسِرَّهَا بِعَلَانِيَتِهَا، وَصُدُورَهَا بِوُرُودِهَا.

فَحَذَرْتُهَا لِمَا عَرَفْتُهَا، وَفَرَرْتُ مِنْهَا لِمَا أَبْصَرْتُهَا.

يا نفسُ ! بَيْنَا تَرَى الْمَرْءَ فِيهَا مُغْتَبِطاً مَحْبُوراً[3]، وَمَلِكاً مَسْرُوراً[4]، فِي خَفْضٍ وَدَعَةٍ وَنِعْمَةٍ وَسَعَةٍ، فِي بَهْجَةٍ مِنْ شَبَابِهِ، وَحَدَاثَةٍ مِنْ سِنِّهِ، وَغِبْطَةٍ مِنْ مُلْكِهِ، وَبَهَاءٍ مِنْ سُلْطَانِهِ، وَصِحَّةٍ مِنْ بَدَنِهِ، إِذَا انْقَلَبَتِ الدُّنْيَا بِهِ أَسَرَّ مَا كَانَ فِيهَا نَفْساً، وَأَقَرَّ مَا كَانَ فِيهَا عَيْناً،

---

[1]: بلوهر وبوذاسف صفحة ٧٠.

[2]: الحتف: الموت من غير قتل و الجمع حتوف. و الراصد: المراقب.

[3]: أي مسرورًا.

[4]: في بعض النسخ (مشغوفًا).

فَأَخْرَجَتْهُ مِنْ مُلْكِهَا وَغِبْطَتِهَا وَخَفْضِهَا وَدَعَتِهَا وَبَهْجَتِهَا، فَأَبْدَلَتْهُ بِالْعِزِّ ذُلًّا، وَ بِالْفَرَحِ تَرَحاً، وَ بِالسُّرُورِ حُزْناً، وَبِالنِّعْمَةِ بُؤْساً، وَبِالْغِنَى فَقْراً، وَبِالسَّعَةِ ضِيقاً، وَبِالشَّبَابِ هَرَماً، وَبِالشَّرَفِ ضَعَةً، وَبِالْحَيَاةِ مَوْتاً.

لكان أبعد غايته مائة سنة، حتى يبلى جسده، ويتغيّر لونه وشعره، ويترهّل خلقه ولحمه وقوّته وبصره، ويفارقه أهله وأحبّاؤه، ويذلّ عزّه، ويمحى سلطانه.

وأبعد الغاية لما يخلّف ثلاثمائة عام، حتى يصير ما جمع متفرّقًا، وما عمل متبدّدًا، وما شيّد خرابًا، ويصير اسمه مجهولًا، وذكره منسيًّا، وحسبه خاملًا، وشرف عقبه وولده حقيرًا، وما يغني عنه وبالًا، وما كسب خبالًا، ويرث سلطانه ولاة الأمور على الأزمان، ويرث ماله من يسوقه إليه وتنساق الأرزاق والمواريث من الأوّل إلى الآخر[1] .

يا نفسُ ! قال الحكيم: فَدَلَّتْهُ فِي حُفْرَةٍ ضَيِّقَةٍ شَدِيدَةِ الْوَحْشَةِ، وَحِيداً فَرِيداً غَرِيباً، قَدْ فَارَقَ الْأَحِبَّةَ وَ فَارَقُوهُ، وَخَذَلَهُ إِخْوَانُهُ، فَلَمْ يَجِدْ عِنْدَهُمْ مَنْعاً[2]، وَغَرَّهُ أَعْدَاؤُهُ، فَلَمْ يَجِدْ عِنْدَهُمْ دَفْعاً[3]، وَصَارَ عِزُّهُ وَمُلْكُهُ وَأَهْلُهُ وَمَالُهُ نُهْبَةً مِنْ بَعْدِهِ، كَأَنْ لَمْ يَكُنْ فِي الدُّنْيَا، وَلَمْ يَذْكُرْ فِيهَا سَاعَةً قَطُّ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ فِيهَا خَطَرٌ، وَلَمْ يَمْلِكْ مِنَ الْأَرْضِ حَظّاً قَطُّ.

فَلَا تَتَّخِذُهَا[4] يَا ابْنَ الْمَلِكِ دَاراً، وَلَا تَتَّخِذَنَّ فِيهَا عُقْدَةً[5] وَلَا عَقَاراً، فَأُفٍّ لَهَا وَ تُفٍّ !

يا نفسُ ! قَالَ ابْنُ الْمَلِكِ أُفٍّ لَهَا وَ لِمَنْ يَغْتَرُّ بِهَا إِذَا كَانَ هَذَا حَالَهَا !

---

[1]: بلوهر وبوذاسف صفحة ٧١.

[2]: في نسخة المجلسي دفعًا.

[3]: في نسخة المجلسي حذفت هذه العبارة: وَ غَرَّهُ أَعْدَاؤُهُ فَلَمْ يَجِدْ عِنْدَهُمْ دَفْعاً.

[4]: في نسخة المجلسي فلا تتّخذ فيها.

[5]: العقدة: الضيعة و هي المتاع و العقار.

وَ رَقَّ ابْنُ الْمَلِكِ، وَقَالَ زِدْنِي أَيُّهَا الْحَكِيمُ مِنْ حَدِيثِكَ، فَإِنَّهُ شِفَاءٌ لِمَا فِي صَدْرِي.

يا نفسُ ! قَالَ الْحَكِيمُ إِنَّ الْعُمُرَ قَصِيرٌ، وَاللَّيْلَ وَالنَّهَارَ يُسْرِعَانِ فِيهِ، وَالِارْتِحَالَ مِنَ الدُّنْيَا حَثِيثٌ قَرِيبٌ، وَإِنَّهُ وَإِنْ طَالَ الْعُمُرُ فِيهَا فَإِنَّ الْمَوْتَ نَازِلٌ، وَالظَّاعِنَ لَا مَحَالَةَ رَاحِلٌ.

فَيَصِيرُ مَا جَمَعَ فِيهَا مُفَرَّقاً، وَمَا عَمِلَ فِيهَا مُتَبَّراً[1]، وَمَا شَيَّدَ فِيهَا خَراباً، وَيَصِيرُ اسْمُهُ مَجْهُولًا، وَذِكْرُهُ مَنْسِيّاً، وَحَسَبُهُ خَامِلًا، وَجَسَدُهُ بَالِياً، وَشَرَفُهُ وَضِيعاً، وَنِعْمَتُهُ وَبَالًا، وَكَسْبُهُ خَسَاراً، وَيُورَثُ سُلْطَانُهُ، وَيُسْتَذَلُّ عَقِبُهُ، وَيُسْتَبَاحُ حَرِيمُهُ، وَتُنْقَضُ عُهُودُهُ، وَتُخْفَرُ[2] ذِمَّتُهُ، وَتُدْرَسُ آثَارُهُ، وَيُوَزَّعُ مَالُهُ، وَيُطْوَى[3] رَحْلُهُ[4]، وَيَفْرَحُ عَدُوُّهُ، وَيَبِيدُ مُلْكُهُ، وَيُورَثُ تَاجُهُ، وَيُخْلَفُ عَلَى سَرِيرِهِ.

وَيُخْرَجُ مِنْ مَسَاكِنِهِ مَسْلُوباً مَخْذُولًا، فَيُذْهَبُ بِهِ إِلَى قَبْرِهِ، فَيُدْلَى[5] فِي حُفْرَتِهِ[6]، فِي وَحْدَةٍ وَغُرْبَةٍ وَظُلْمَةٍ وَ وَحْشَةٍ وَمَسْكَنَةٍ وَذِلَّةٍ، قَدْ فَارَقَ الْأَحِبَّةَ، وَأَسْلَمَتْهُ الْعَصَبَةُ[7]، فَلَا تُؤْنَسُ وَحْشَتُهُ أَبَداً، وَلَا تُرَدُّ غُرْبَتُهُ أَبَداً.

يا نفسُ ! قال الحكيم: فلما رأيت كل مجموع متفرّقًا، وكل مكسوب مسلوبًا، إلا التقوى وعمل البرّ، الذي لا يسلب ولا يبلى ولا يهلك، رأيت أن أوجّه رأيي وهواي ومحبّتي

---

(١): تبّره = أهلكه، دمّره.

(٢): خفر ذمّته = نقضها.

(٣): طوى = نقيض نشر.

(٤): الرحل = المنزل والمأوى.

(٥): دلا الدلو = أرسلها في البئر.

(٦): يوضع أو يتوسّد في حفرته.

(٧): العصبة = قوم الرجل الذي يتعصّبون له.

وقولي إلى عمل البرّ والتقوى، فإنه أفضل ما نحن مكتسبوه من المكاسب، وأفضل ما نحن معتقدوه هي القوة على أعمال البرّ، والاجتناب لأعمال الشرّ، والتصديق بالله عز وجل.

يا نفسُ ! وقال الحكيم: فذلك هو الكسب الذي اكتسبت، والعقدة التي اعتقدتها، ولم أزل مذ أبصرت ذلك أحبّ العمل بما قدرت عليه من الخير، واجتناب ما قدرت على اجتنابه من الشرّ، مع التصديق بوعد ربّي تبارك وتعالى، واليقين والإيمان بالبعث والجنّة والنار[1][2].

[1]: بلوهر وبوذاسف صفحة ٧١.

[2]: من كتابي بوذا ونور الملكوت.

يا نفس إلى متى تسوّفين

يا نفسُ ! لو وعيت ما أقوله وطبّقته وتحمّلته وثابرت عليه وصبرت عليه، عملًا صالحًا خالصًا مخلصًا لله، يؤدّي بك إلى قلب سليم طاهر مطهّر لا يوجد فيه إلّا الله الواحد الأحد الصمد، لكان هذا العمل الصالح قرين الصدق لك، ينفعك حيث لا ينفع مال ولا بنون إلّا من أتى الله بقلب سليم.

يا نفسُ ! إن هذا العمل الصالح سوف ينفعك في يوم البكاء والنحيب، حيث تخرج روحك، وتدخلين ظلمة قبرك وضيق لحدك، حيث يتركك أحبّتك وأقاربك، وحيدة فريدة، لا مونس فيه ولا أنيس ولا جليس، تواجهين فيه سؤال منكر ونكير.

يا نفسُ ! إن هذا العمل الصالح سوف ينفعك في يوم تخرجين فيه من قبرك عريانة ذليلة، حاملة ثقلك على ظهرك، تنظرين مرّة عن يمينك وأخرى عن شمالك، إذ الخلائق في شأن غير شأنك، لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ، وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ، ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ، وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ، تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ[1]، وذلّة.

يا نفسُ ! إن هذا العمل الصالح سوف ينفعك في يوم كربتك عند موتك، ووحدتك في قبرك، ووحشتك في لحدك، وذلّ موقفك إذا نشرت للحساب بين يدي الله عزّ وجلّ.

يا نفسُ ! إن هذا العمل الصالح سوف ينفعك في يوم تكونين فيه صريعة على الفراش تقلّبك أيدي أحبّتك، وممدودة على المغتسل يقلّبك صالح جيرتك، ومحمولة قد تناول الأقرباء أطراف جنازتك، ومنقولة قد نزلت بالله وحيدة في حفرتك، وغريبة في بيتك الجديد، لا تحملين من دنياك غير كفن على جسدك العاري.

---

[1]: [عبس : ٣٧ - ٤١].

ولله درّ الشاعر حيث يقول على لسان حال هذا البائس[1]:

مَـــاذَا تُرَانِي فَاعِـــلٌ بِإِسَـــارَتِي [2] فِي ضِيقِ لَحْدِي[3] وَانْكِمَاشِ ثَرَاهَا

وَصَحِبْـــتُ فِيـــهِ مِـــنْ مَتَـــاعِ دَنِيَّـــةٍ كَفَناً عَلَى جِسْمِي وَرُخْصَ رِدَاهَا

هَـــلْ لِي بِرَجْعَـــةَ لا لِأَعْمُـــرَ مَـــنْزِلاً بَـــلْ كَيْ لِأَعْمُـــرَ زَادَ يَـــوْمِ جَزَاهَـــا

يا نفسُ ! إن هذا العمل الصالح سوف ينفعك في يوم قد أوحشتك فيه العوالم، ولم يبق لك إلّا العمل الصالح والقلب السليم، حيث لا ينفعك مال ولا بنون إلّا من أتى الله بقلب سليم.

يا نفسُ ! إني لك ناصح أمين، فاتّبعي نصحي. إلى متى تسوّفين ! وهل أنت يا ترى في الدنيا تأملين ! وهل أنت حقًّا على هذا الغباء الفاحش، بحيث تأملين في دنيا قد رأيت بأمّ عينيك كيف فعلت وتفعل بأهلها ! ها هم رهائن القبور، ومضامين اللحود.

يا نفسُ ! إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ* إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ[4]. فهل يا ربّي وسيّدي ومولاي قد جعلتني منهم ؟ وهل يا ترى كتبتني منهم في لوحك المحفوظ ؟ من الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحقّ وتواصوا بالصبر!

يَا حَلِيمُ يَا كَرِيمُ يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ يَا غافِرَ الذَّنْبِ يَا قابِلَ التَّوْبِ يَا عَظِيمَ الْمَنِّ يَا قَدِيمَ الإِحسانِ. أَيْنَ سِتْرُكَ الْجَمِيلُ، أَيْنَ عَفْوُكَ الْجَلِيلُ، أَيْنَ فَرَجُكَ الْقَرِيبُ، أَيْنَ غِياثُكَ السَّرِيعُ،

---

[1]: من كتابي السموات السبع صفحة ٦٦.

[2]: إسارة: أسر.

[3]: اللحد: القبر.

[4]: [العصر : ٢ - ٣].

أَيْنَ رَحْمَتُكَ الْواسِعَةُ، أَيْنَ عَطاياكَ الْفاضِلَةُ، أَيْنَ مَواهِبُكَ الْهَنيئَةُ، أَيْنَ صَنائِعُكَ السَّنِيَّةُ، أَيْنَ فَضْلُكَ الْعَظيمُ، أَيْنَ مَنُّكَ الْجَسيمُ، أَيْنَ إِحْسانُكَ الْقَديمُ، أَيْنَ كَرَمُكَ يَا كَريمُ[1] !

[1]: من دعاء السَّحر نقله أبي حمزة الثمالي عن الإمام عليّ بن الحسين سيّدُ العابدين (صلوات الله عليه).

ما أقلّ قرين الصدق

يا نفسُ ! قَالَ بِلَوْهَرُ زَعَمُوا أَنَّ رَجُلًا كَانَ لَهُ ثَلَاثَةُ قُرَنَاءَ، وَكَانَ قَدْ آثَرَ أَحَدَهُمْ عَلَى النَّاسِ جَمِيعاً، وَيَرْكَبُ الْأَهْوَالَ وَالْأَخْطَارَ بِسَبَبِهِ، وَيُغَرِّرُ[1] بِنَفْسِهِ لَهُ، وَيُشْغَلُ لَيْلَهُ وَنَهَارَهُ فِي حَاجَتِهِ.

وَكَانَ الْقَرِينُ الثَّانِي دُونَ الْأَوَّلِ مَنْزِلَةً، وَهُوَ عَلَى ذَلِكَ حَبِيبٌ إِلَيْهِ أَمِيرٌ[2] عِنْدَهُ، يُكْرِمُهُ وَيُلَاطِفُهُ وَيَخْدُمُهُ وَيُطِيعُهُ وَيَبْذُلُ لَهُ وَ لَا يَغْفُلُ عَنْهُ.

وَكَانَ الْقَرِينُ الثَّالِثُ مَجْفُوّاً[3] مَحْقُوراً مُسْتَثْقِلًا لَيْسَ لَهُ مِنْ وُدِّهِ وَ مَالِهِ إِلَّا أَقَلُّهُ، حَتَّى إِذَا نَزَلَ بِالرَّجُلِ الْأَمْرُ الَّذِي يَحْتَاجُ فِيهِ إِلَى قُرَنَائِهِ الثَّلَاثَةِ، فَأَتَاهُ زَبَانِيَةُ[4] الْمَلِكِ لِيَذْهَبُوا بِهِ، فَفَزِعَ إِلَى قَرِينِهِ الْأَوَّلِ فَقَالَ لَهُ قَدْ عَرَفْتَ إِيثَارِي إِيَّاكَ وَبَذْلَ نَفْسِي لَكَ، وَهَذَا الْيَوْمُ يَوْمُ حَاجَتِي إِلَيْكَ فَمَا ذَا عِنْدَكَ ؟

قَالَ مَا أَنَا لَكَ بِصَاحِبٍ، وَإِنَّ لِي أَصْحَاباً يَشْغَلُونِّي عَنْكَ، هُمُ الْيَوْمَ أَوْلَى بِي مِنْكَ، وَلَكِنْ لَعَلِّي أُزَوِّدُكَ ثَوْبَيْنِ لِتَنْتَفِعَ بِهِمَا.

ثُمَّ فَزِعَ إِلَى قَرِينِهِ الثَّانِي ذِي الْمَحَبَّةِ وَاللُّطْفِ، فَقَالَ لَهُ قَدْ عَرَفْتَ كَرَامَتِي إِيَّاكَ وَلُطْفِي بِكَ وَ حِرْصِي عَلَى مَسَرَّتِكَ، وَهَذَا يَوْمُ حَاجَتِي إِلَيْكَ، فَمَا ذَا عِنْدَكَ ؟

---

[1]: غرّر بنفسه = عرّضها للهلاك.

[2]: في نسخة المجلسي مشفق.

[3]: في نسخة المجلسي من دون مجفوًّا.

[4]: في نسخة المجلسي جلاوزة.

فَقَالَ إِنَّ أَمْرَ نَفْسِي يَشْغَلُنِي عَنْكَ وَعَنْ أَمْرِكَ، فَاعْمِدْ[1] لِشَأْنِكَ، وَاعْلَمْ أَنَّهُ قَدِ انْقَطَعَ الَّذِي بَيْنِي وَ بَيْنَكَ، وَأَنَّ طَرِيقِي غَيْرُ طَرِيقِكَ، إِلَّا أَنِّي لَعَلِّي أَخْطُو مَعَكَ خُطُوَاتٍ يَسِيرَةً لَا تَنْتَفِعُ بِهَا، ثُمَّ أَنْصَرِفُ إِلَى مَا هُوَ أَهَمُّ إِلَيَّ مِنْكَ.

ثُمَّ فَزِعَ إِلَى قَرِينِهِ الثَّالِثِ الَّذِي كَانَ يُحَقِّرُهُ وَ يَعْصِيهِ وَلَا يَلْتَفِتُ إِلَيْهِ أَيَّامَ رَخَائِهِ، فَقَالَ لَهُ إِنِّي مِنْكَ لَمُسْتَحٍ، وَلَكِنَّ الْحَاجَةَ اضْطَرَّتْنِي إِلَيْكَ، فَمَاذَا لِي عِنْدَكَ ؟

قَالَ لَكَ عِنْدِي الْمُوَاسَاةُ وَالْمُحَافَظَةُ عَلَيْكَ وَقِلَّةُ الْغَفْلَةِ عَنْكَ، فَأَبْشِرْ وَقَرَّ عَيْناً، فَإِنِّي صَاحِبُكَ الَّذِي لَا يَخْذُلُكَ وَلَا يُسْلِمُكَ، فَلَا يُهِمَّنَّكَ[2] قِلَّةُ مَا أَسْلَفْتَنِي[3] وَاصْطَنَعْتَ[4] إِلَيَّ، فَإِنِّي قَدْ كُنْتُ أَحْفَظُ لَكَ ذَلِكَ، وَأُوَفِّرُهُ عَلَيْكَ كُلَّهُ، ثُمَّ لَمْ أَرْضَ لَكَ بَعْدَ ذَلِكَ[5] حَتَّى اتَّجَرْتُ لَكَ بِهِ، فَرَبِحْتُ أَرْبَاحاً كَثِيرَةً، فَلَكَ الْيَوْمَ عِنْدِي مِنْ ذَلِكَ أَضْعَافُ مَا وَضَعْتَ عِنْدِي مِنْهُ.

فَأَبْشِرْ ! وَإِنِّي أَرْجُو أَنْ يَكُونَ فِي ذَلِكَ رِضَا الْمَلِكِ عَنْكَ الْيَوْمَ وَ فَرَجاً مِمَّا أَنْتَ فِيهِ. فَقَالَ الرَّجُلُ عِنْدَ ذَلِكَ مَا أَدْرِي عَلَى أَيِّ الْأَمْرَيْنِ أَنَا أَشَدُّ حَسْرَةً عَلَيْهِ، عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي الْقَرِينِ الصَّالِحِ[6]، أَمْ عَلَى مَا اجْتَهَدْتُ فِيهِ مِنَ الْمَحَبَّةِ لِقَرِينِ السَّوْءِ.

---

(١): عمد بشأنه = لزم شأنه.

(٢): في نسخة المجلسي فلا يهمّك.

(٣): أسلفه مالًا = أقرضه إياه.

(٤): اصطنع = أحسن.

(٥): في نسخة المجلسي بإضافة به.

(٦): ما أقلّ ما نهتمّ بالقرين الصالح، الذي هو العمل الصالح، والذي هو رأسمالنا في الخلود، وما أكثر ما نهتمّ في دنيانا بالمال الذي يخذلنا، وبالأهل والولد الذين يوصلوننا إلى الحفرة الضيّقة ثم يتركوننا هناك.

يا نفسُ ! قَالَ بِلَوْهَرُ فَالْقَرِينُ الْأَوَّلِ هُوَ الْمَالُ، وَالْقَرِينُ الثَّانِي هُوَ الْأَهْلُ وَالْوَلَدُ، وَالْقَرِينُ الثَّالِثُ هُوَ الْعَمَلُ الصَّالِحُ.

يا نفسُ ! قَالَ ابْنُ الْمَلِكِ إِنَّ هَذَا هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ، فَزِدْنِي مَثَلًا لِلدُّنْيَا وَغُرُورِهَا وَصَاحِبِهَا الْمَغْرُورِ بِهَا الْمُطْمَئِنِّ إِلَيْهَا[1].

[1]: من كتابي بوذا ونور الملكوت.

صوت الله فينا

يا أيها الإنسان إن النفس توسوس بكلّ أنواع المعاصي والذنوب والرذائل، من حبّ الدنيا وزينتها وزبرجها، وحبّ الجاه والرئاسة، وحبّ المال، والطمع والحرص، والكبر والصلف والعجْب، والطغيان والبغضاء والحقد، والعداوة والغفلة والحسد، والظلم والأنانية والانتقام، ومختلف اهتمامات الدنيا وتنافساتها ورغباتها الدنيّة، ومختلف الشهوات النفسيّة، وطول الأمل والغيبة واللغو والشبق، والشك والريبة والرياء والغضب.

يا أيّها الإنسان إن النفس تحبّ أن تفعل ما تشاء، لا حساب ولا رقيب، وأن تظلم هذا وتبطش بذاك، وتقترف الذنوب والآثام، وتستسيغ نسيان الله، وبطر النعمة، ونكران الجميل، وعدم الشكر.

يا نفسُ ! لولا الله في أعماقنا يناديا ويرأف بنا، لفعلت النفس الأفاعيل، ولكنه سبحانه وتعالى أقرب إلينا من حبل الوريد.

يا نفسُ ! فكيف لا نستيقظ من سباتنا، وننتبه لذلك، ونصغي إلى صوت الضمير والوجدان، الذي يمثّل صوت الله فينا، ونتّخذ الله عزّ وجلّ عضدًا في حربنا الضروس مع الطبيعة أو النفس أو الدنيا !

يا نفسُ ! انظري إلى غطرسة الشيطان ومكائده، التي تتمثّل فيك، فاحذريه وجاهديه بكلّ قواك، فإنه للإنسان عدوّ مبين.

يا نفسُ ! وكوني على حذر منه، وكوني متأهّبة أن تقولي له كما قال له عيسى عليه السلام حينما قال له الشيطان (العظمة لك يا عيسى) فقال:

بل العظمة للذي كوّنني من غير أب، وكذلك كوّن آدم وحواء.

وقال: العظمة للذي أنطقني في صغري، ولو شاء لأبكمني.

وقال: العظمة للذي خلقني وخلق ما سخّر لي من خلق الطين كهيئة الطير فأنفخ فيه فيصير طيرًا !

وقال: العظمة للذي بإذنه أشفي المرضى وإذا شاء أمرضني.

وقال: بل العظمة للذي بإذنه أحيي الموتى، ولا بد من أن يميت ما أحييت ويميتني.

وقال: بل العظمة للذي جعلني أعبر البحر، فلا تبتلّ قدماي ولا ترسخ فيه، ولو شاء أغرقني.

يا نفسُ ! هذا والله صوت الله فينا يصرخ بأعلى صوته، فالتصقي بالله عزّ وجلّ، ولا تنحرفي عنه قيد أنملة.

يا نفسُ ! فلا تغترّي بما أكرمك الله به من كرامات، فإنها محض ابتلاء، كي يبلوكم أيّكم أحسن عملًا.

غطرسة الشيطان ومكائده

يا نفسُ ! بعد الصلاة ومناجاته ربه اجتمع الحواريون حول عيسى بن مريم عليه السلام وقالوا: أيها المعلّم نريد أن نعرف شيئين:

أولًا: أخبرنا كيف تكلّمت مع الشيطان الذي تقول عنه أنه غير نادم.

وثانيًا: أخبرنا كيف سيحكم الله في يوم المعاد.

يا نفسُ ! فأجاب عيسى: الحق أقول لكم: كنت أشفق على الشيطان لسقوطه وهلاكه، وكنت أحنو على الإنسان الذي أغواه الشيطان. لهذا صمتُ النهار وقمتُ الليل وناجيتُ ربي، فتكلّم إليّ ربّي بلسان جبرائيل سائلًا: ماذا تريد يا عيسى وما هو طلبك ؟

أجبت: ربي إنك تعلم ما هو الشرّ الذي سبّبه الشيطان، وكيف أن الكثيرين يهلكون بسبب إغوائاته. إنه يا رب مخلوقك الذي خلقته، لذلك ارحمه يا رب.

فأجاب الله: يا عيسى إني سأعفو عنه ! فقط دعه يقول: ربّي الله لقد أثمت فارحمني! وسأعفو عنه وأردّه إلى سابق مقامه.

يا نفسُ ! قال عيسى: ففرحت كثيرًا حينما سمعت ذلك، وكنت أعتقد أنني توصّلت إلى صيغة الصلح. لهذا ناديت الشيطان فجاء إليّ قائلًا: ماذا تريدني أن أفعل لك يا عيسى؟

فأجبته: أيها الشيطان افعله لنفسك، لأني لا أحبّ خدماتك، ولكني ناديتك كي تعمل شيئًا لصالحك.

أجاب الشيطان: إذا أنت لا ترغب في خدماتي، فأنا بالأحرى لا أرغب في خدماتك، لأني أنبل منك، لذلك فأنت غير جدير بأن تخدمني، لأنك من الطين وأنا من النار.

فقلت له: دعك من هذا، وأخبرني أليس الأولى لك أن ترجع إلى جمالك الأول وإلى مقامك الأول. إنك تعلم أن ميكائيل في يوم القيامة سوف يضربك بسيف الله ١٠٠,٠٠٠ ضربة، وأن كل ضربة سوف تذيقك عذاب الجحيم عشرة أضعاف.

فأجاب الشيطان: سنرى في ذلك اليوم من الغالب. سيكون على جانبي ملائكة كثيرون، وجلّ الوثنيين المقتدرين، الذين سيزعجون الله ويضايقونه. وسيعلم الله فداحة خطئه، إذ طردني من أجل قطعة من الطين سافلة دنيئة.

فقلت له: أيها الشيطان إنك ضعيف العقل، ولا تعلم ماذا تقول.

فقال الشيطان في سخرية مبصبصًا برأسه[1]: تعال فاعمل الصلح بيني وبين الله. إنك سليم العقل يا عيسى. فقل لي ماذا يجب أن أعمل ؟

فأجبت: النطق بكلمتين فقط.

فأجاب الشيطان: أيّ الكلمتين ؟

فأجبت: أن تقول: لقد أثمت فارحمني.

فقال الشيطان: سأصالح الله عن طيب خاطر، إذا قال الله لي هاتين الكلمتين.

فقلت له: اغرب بوجهك عني أيها اللعين، لأنك أصل الخبث والظلم والآثام جميعها، وإن الله عادل ومنزّه عن الذنوب.

فانصرف الشيطان عني وهو يزعق ويصرخ: إنه ليس كذلك يا عيسى، ولكنك تكذب كي ترضي الله.

---

[1]: فكلما رأيت إنسانًا وهو يبصبص برأسه غرورًا، فاعلم إنه الشيطان يبصبص برأسه في هذا الإنسان التعيس.

يا نفسُ ! وقال عيسى: والآن قولوا لي أيها الحواريون: كيف سيجد الشيطان الرحمة !

فأجابوا: مستحيل يا سيدنا، لأنه غير نادم بتاتًا.

يا نفسُ ! وبالنسبة لمكائد الشيطان وظهوره لعيسى عليه السلام، وإغوائه بكثير من الكلام الهراء، فقد ذكر في أمالي الشيخ الصدوق، أنه قد روي عن ابن عباس أنه قال: لما مضى لعيسى عليه السلام ثلاثون سنة، بعثه الله عزّ وجلّ إلى بني إسرائيل، فلقيه إبليس على عقبة بيت المقدس وهي عقبة أفيق، فقال له: يا عيسى أنت الذي بلغ من عظم ربوبيتك أن تكوّنت من غير أب !

قال عيسى: بل العظمة للذي كوّنني، وكذلك كوّن آدم وحواء.

قال إبليس: يا عيسى فأنت الذي بلغ من عظم ربوبيتك أنك تكلّمت في المهد صبيًّا !

قال عيسى: يا إبليس بل العظمة للذي أنطقني في صغري، ولو شاء لأبكمني.

قال إبليس: فأنت الذي بلغ من عظم ربوبيتك أنك تخلق من الطين كهيئة الطير فتنفخ فيه فيصير طيرًا !

قال عيسى: بل العظمة للذي خلقني وخلق ما سخّر لي.

قال إبليس: فأنت الذي بلغ من عظم ربوبيتك أنك تشفي المرضى !

قال عيسى: بل العظمة للذي بإذنه أشفيهم وإذا شاء أمرضني.

قال إبليس: فأنت الذي بلغ من عظم ربوبيتك أنك تحيي الموتى !

قال عيسى: بل العظمة للذي بإذنه أحييهم، ولا بد من أن يميت ما أحييت ويميتني.

قال إبليس: يا عيسى فأنت الذي بلغ من عظم ربوبيتك أنك تعبر البحر فلا تبتلّ قدماك ولا ترسخ فيه !

قال عيسى: بل العظمة للذي ذلّله لي، ولو شاء أغرقني.

قال إبليس: يا عيسى فأنت الذي بلغ من عظم ربوبيتك أنه سيأتي عليك يوم تكون السماوات والأرض ومن فيهن دونك، وأنت فوق ذلك كله تدبّر الأمر، وتقسّم الأرزاق.

فأعظم عيسى ذلك من قول إبليس الكافر اللعين، فقال: سبحان الله ملء سماواته وأرضه، ومداد كلماته، وزنة عرشه، ورضا نفسه.

قال: فلما سمع إبليس (لعنه الله) ذلك ذهب على وجهه لا يملك من نفسه شيئًا حتى وقع في اللجّة الخضراء[1][2].

[1]: أمالي الشيخ الصدوق: ١٧١.

[2]: من كتابي هكذا تكلّم عيسى عليه السلام.

والسماء رفعها ووضع الميزان

يا نفسُ ! إن العقل الروحاني في وجودنا، بما فيه الضمير والوجدان، هو صوت الله عزّ وجلّ. ولا يحصل للإنسان إلا بالموت الإراديّ ، كما قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: "موتوا قبل أن تموتوا". وقد ذكرت شيئًا عن الموت الاختياريّ أو الإراديّ قبل الموت الحقيقيّ - حيث تميّز النور عن الظلمات والحقّ عن الضلال والرشاد عن الغيّ - في كتابي السموات السبع كما يلي:-

٢٦٣ فَالْمَوْتُ فِي الْمَحْوِ[١] الَّذِي غَسَلَ الَّتِي ... وَرِثَتْ نُقُوشَ الرَّمْلِ مِنْ هَيُولاها[٢]

٢٦٤ فَالْمَوْتُ يُوسِعُ عَقْلَكُمْ وَيُنِيرُهُ ... مِيزَانُهَا وُضِعَتْ برَفْعِ سَمَاها[٣]

٢٦٥ فَالْبَعْثُ فِي الْمَوْتِ الإِرَادِيِّ فَقُمْ ... وَانْشُدْ حَيَاةَ الْخُلْدِ فِي أُخْرَاها

٢٦٦ فَالْبَعْثُ يُوهِبُ عَقْلَكُمْ نُورَ الْحِجَى ... وَسَعَتْ[٤] سَمَاءَ الرُّوحِ نُورُ حِجَاها

٢٦٧ فَمَلَكْتَ مِيزَاناً لِمَنْ عَلْيَائِهَا ... مَيَّزْتَ نُوراً مِنْ ضَبَابِ[٥] دُجَاها

٢٦٨ مَيَّزْتَ حَقّاً مِنْ ضَلالَةِ بَاطِلٍ ... مَيَّزْتَ غَيّاً[٦] مِنْ رَشَادِ جَلاها

---

[١]: علم المحو هو علم العرفان الذي يغسل النفس من النقوش الزائفة.

[٢]: الهيولى: المادة.

[٣]: إشارة إلى الأية السابعة من سورة الرحمن: وَالسَّمَاء رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ.

[٤]: وسعه: بسطه وكثره. يقال (وسع عليه) إذا أغناه.

[٥]: ضباب جمع ضبابة وهي السحابة التي تغشى الأرض.

[٦]: الغي: ضد الرشد.

صراع النفس والروح

يا نفسُ ! إن الإنسان نموذج مصغّر عن الكون. ولقد كنا نذكر دائمًا في تعليماتنا العرفانية بأن الروح والنفس في الإنسان في صراع دائم. وأن الإنسان يجب أن يعقد العزم على تغليب الروح على النفس في نهاية المطاف.

يا نفسُ ! إن العلم الحديث في تقدّمه العظيم ـ بل في اختراقه حجب الأسرار الكونيّة ـ الذي حصل في العقدين الأخيرين بفضل المختبرات الفضائية التي أطلقت إلى الفضاء الخارجي، وعلى الأخصّ المختبر الفضائي (هابل)، قد أثبت أن هذا الصراع موجود أيضا في الكون.

يا نفسُ ! وقد ذكرنا هذا الاكتشاف بالعبارة التالية : -

وعندما توسّع الكون ومال إلى البرودة، كانت قوّة الجاذبيّة وقوّة (الجوهر أو اللبّ أو الروح) قد انخرطا في صراع وتشابك من أجل الهيمنة على الكون. كلا الحقلين مالا إلى الضعف والوهن مع توسّع الكون. ولكن في نهاية المطاف، ربح (الروح) المعركة على (الجاذبيّة)، وأخذ زمام المبادرة والسيطرة بيده، يدفع المجرّات بعيدًا عن بعضها البعض.

يا نفسُ ! إن نفس السيناريو يحدث في الإنسان ـ النموذج المصغّر عن الكون ـ أيضًا. ففي الكون إنه الصراع بين الجوهر وبين الجاذبية، في حين إنه في الإنسان الصراع بين الروح والنفس.

يا نفسُ ! ففي الإنسان أيضًا كلا الحقلين يميلان إلى الضعف والوهن مع تقدّم عمر الإنسان. والمطلوب من هذا الإنسان، الذي أكرمه الله أيّ إكرام بتمليكه قابليّة الاختيار

لتغليب هذا على ذاك، دون أيّ موجود آخر، ما لا تملكه مملكة الحيوانات أو النباتات أو الجمادات، أن يسعى ويكدّ ويجهد ويجدّ بأن يغلّب الروح على النفس.

يا نفسُ ! إن الروح عيّنة مقدّسة من الله سبحانه وتعالى لدينا، نفخه فينا من روحه جلّ شأنه[1]، وأودع عندنا هذه الوديعة المقدّسة. فالروح وديعة الله عندنا، وحقًّا فرض علينا وألف فرض، أن نغلّبها في وجودنا على قوى النفس، وخدمها وحشمها وجنودها وأبناء وأحفاد جنودها، من الهوى والتشتّت والتبعثر وشتات الشمل، والعقد المستقرّة في جهازنا العصبي وفي عقلنا الباطني، والتي هي بقايا عهود الجاهليّة في حياتنا.

يا نفسُ ! نعم عندما دخلت طريقة السير والسلوك، كنت أبكي أيامًا طوالًا على نفسي، وأقول: كيف ضيّعت حياتي في ظلمات هذا الجهل وفي عهود الجاهليّة السوداء !!!

يا نفسُ ! إنه لحسن جميل أن يستقبح المرء من نفسه ما يستقبحه من غيره، وأن ينسلّ من العجْب الذي هو ضد الصواب وآفة الألباب، وأنه لا غنى بالإنسان - الذي يفيق من الكرى، والذي يشرق على قلبه من سمائها أول شعاع من أشعّة الهدى - عن حسن الطلب والارتياد[2]، وقدر بلاغه من الزاد، قبل نزوله في قبره، وأن يوطئ[3] المنزل قبل حلوله في لحده، فليس بعد الموت مستعتب[4]، وأن يستصلح كل نعمة أنعمها الله عليه، وأن يقصّر رأيه على ما يعنيه، وأن يحنو على ضالّته من الحكمة التي وجدها حنوّ

---

(1): قال الله تعالى نفس هذه الحقيقة الواحدة في سورة [الحجر : ٢٩]: " فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُواْ لَهُ سَاجِدِينَ "، وكررها مرة أخرى في سورة [صـ : ٧٢]: " فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُواْ لَهُ سَاجِدِينَ".

(2): حسن الطلب.

(3): أن يعدّ المنزل.

(4): استعتبه = أعطاه العتبى وهو الرضا بعد السخط.

المحبّ على حبيبه، وأن تكون نفسه نقيّة بيضاء، غير ملوّثة بأدران الرذائل والمفاسد السوداء، ولا تلوّثه شائبة من شوائب السفالة والدناءة الحمقاء، ولا يفوته إباء الضيم، ولا نقاء الضمير.

وأن ينسلّ[1] من مخالب الدنيا، ويفلت من حبائلها، ويجتنب الذهاب في مداحضها[2]. فمن وطئ دحضها زلق، ومن ركب لججها غرق، ومن ازورّ[3] عن حبائلها وفّق. فإن الله سبحانه وتعالى قرن بسعتها عقابيل فاقتها[4]، وبسلامتها طوارق آفاتها، وبفرج أفراحها غُصَصَ أتراحها. إن الدنيا دار شخوص[5]، ومحلّة تنغيص[6]، ساكنها ظاعن[7]، وقاطنها بائن[8]، تميد بأهلها ميدان السفينة، تقصفها العواصف في لجج البحار، وتحفزه الرياح بأذيالها، وتحمله على أهوالها، فما غرق منها فليس بمستدركٍ، وما نجا منها فإلى مهلكٍ[9].

---

(1): يتخلّص.

(2): منزلقاتها.

(3): ابتعد.

(4): قرن بسعتها شدائدها.

(5): دار انتقال من مكان إلى آخر.

(6): مكان الشدائد والآلام.

(7): مسافر.

(8): مفارق.

(9): من كلام الإمام علي عليه السلام.

يا نفسُ ! إن الله جل وعلا ذكر نفس آية نفخ الروح في الإنسان مرتين في كتابه المقدّس، مرة في سورة الحجر ومرة أخرى في سورة ص، إذ قال جلّ شأنه ـ ونفس الآية مكرّرة مرتين ـ: فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُواْ لَهُ سَاجِدِينَ[1].

يا نفسُ ! إن الله سبحانه وتعالى، الذي نفخ فينا من روحه وأودع فينا عيّنة منه، أكرمنا بها إكرامًا، وجعل وجودنا مظهرًا وتجلّيًا من تجلّياته جلّ وعلا. فإذا أهملناها كنا كمن ينام على كنز كل ليلة، وهو معرض عن هذا الكنز العظيم، لا يستفيد منه شيئًا. فيا ترى من الخسران في هذه الصفقة !!!

يا نفسُ ! نعم إن أهملنا هذا الكنز المقدّس كنا نحن كالدوابّ والأنعام بل أضلّ سبيلًا. يقول الله جل شأنه: وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيراً مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لاَّ يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لاَّ يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لاَّ يَسْمَعُونَ بِهَا أُوْلَـئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَـئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ[2].

يا نفسُ ! إن المشكلة الكبرى هو أننا نفكّر بأن هذه الآية نزلت في الكفّار والمشركين الذين كانوا يعيشون قبل ١٤٠٠ عام، وأنها لغيرنا لا لنا، وإننا بمنأى عنها، تمامًا كما نفكّر بأن الموت لغيرنا لا لنا. أما إذا دخلت أنت طريقة السير والسلوك، سترى القرآن الكريم حيًّا ينبض بالحياة، وسترى أن كل آية فيه إنما هي لك، في المقام الأول. نعم أنت المعنيّ في المقام الأول، فاحذر واعمل.

---

[1]: [الحجر : ٢٩]، [صـ : ٧٢].

[2]: [الأعراف : ١٧٩].

يا نفسُ ! أما إذا غلّبنا الروح على النفس كنا مظهرًا وتجلّيًا من تجلّيات الله بل كلمة منه سبحانه. وهذا ما يقوله العرفاء بالضبط. إنهم لا يقولون بأنهم أصبحوا إلهًا ـ والمعاذ بالله ـ كما يتصوّره العامة من الناس، وفي مقدّمتهم بعض المثقفين والدكاترة مع الأسف الشديد.

يا نفسُ ! ولأن الله تعالى أودع فينا قابلية الاختيار، فإن بمقدورنا أن نجاهد في الله حقّ جهاده ونهتدي إلى سبله، حتى تتغلّب الروح على النفس. يقول الله تعالى: وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ[1].

يا نفسُ ! نعم بمقدورنا أن نغلّب الروح على النفس، رغم كل مشقّاتها الصعبة، وكمون إبليس في ثنايانا، وفي كل ركن وزاوية وشقّ من النفس، وأصعب من ذلك تحكّم إبليس في شبكة الأمواج والإشارات الكهرومغناطيسية الجارية في جهازنا العصبي، وفي اللاوعي والعقل الباطن من وجودنا.

يا نفسُ ! ولو أننا عزمنا وصمّمنا على أن نتابع الجهاد الأكبر حتى آخر نفس من العمر، لضعفت النفس، ووهن إبليس وجنوده، أمامنا قليلًا قليلًا، وقويت الروح وزادت هيمنتها تدريجيًّا.

يا نفسُ ! يقول الرسول صلى الله عليه وآله وسلم: "تخلّقوا بأخلاق الله". ولكن معظمنا لم يدخل السير والسلوك حتى يبدأ هذه العمليّة التطهيرية المقدّسة. فإذا بدأنا السير والسلوك، وعزمنا وصمّمنا على متابعة طريقنا حتى آخر قطرة من دمائنا، وتخلّقنا بأخلاق الله، أصبحنا مظهر الله وكلمة منه.

---

[1]: [العنكبوت : ٦٩].

يا نفسُ ! وإن ما يفعمنا بالأمل أن الله تعالى جواد كريم، لم يحصر كلماته في الأنبياء والأئمة والماضين فقط، كما يتصوّره العامة، بل عمليّة كلمات الله مستمرّة من عهد آدم إلى اليوم وإلى أن تبدّل الأرض غير الأرض والسموات، وإلى يوم يوجد فيه إنسان ما على هذه الأرض. إن كلمات الله لا تنفد، وإن كرم الله وخزائنه لا تنفد أبدًا. يقول الله تعالى: وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِن بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ[1].

يا نفسُ ! إن كلمات الله لا تنحصر في الأنبياء والأئمة والماضين فحسب، بل إن الله بسطها في العرفاء والأولياء والمقرّبين وعباد الله الصالحين. نعم إن كلمات الله ومظاهره وتجلّياته هم نحن، إذا دخلنا في زمرة هؤلاء، واتّبعنا سبيلهم واحتذينا بهم حذو النعل بالنعل.

يا نفسُ ! يقول الله جل شأنه: حَتَّى إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحاً تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ* أُوْلَئِكَ الَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَنَتَجاوَزُ عَن سَيِّئَاتِهِمْ فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ وَعْدَ الصِّدْقِ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ[2]. وقال صلوات الله عليه وآله: "من بلغ الأربعين ولم يفلح فلا فائدة منه".

يا نفسُ ! نعم إذا بلغنا أربعين سنة ودخلنا طريقة السير والسلوك، يعتبر ما قبله سنوات عجاف وعهود الجاهليّة من عمرنا. وقد اكتنزت وتراكمت في عهود الجاهليّة كثير من العقد والاعوجاجات في أنفسنا، وفي جهازنا العصبيّ والفيزيولوجيّ، وفي اللاوعي وعقلنا

---

[1]: [لقمان : ٢٧].

[2]: [الأحقاف : ١٥ - ١٦].

الباطن، والتي يجب تقويمها. إلا أن بيننا وبينها حجبًا سميكة متراكمة بعضها فوق بعض، لا ننتبه إليها إلا بعد ما قطعنا أشواطًا في السير والسلوك، واستبانت لنا معالم أنفسنا على حقيقتها.

يا نفسُ ! وقد خصّصنا في كتابنا (خمسة من العرفاء) فصلًا خاصًا (للعقبة الكأداء) في السير والسلوك. **وذكرنا أن تجاوز هذه العقبة أخذ من بايزيد البسطامي خمس سنوات. أما أنا فبعد ٢٩ عامًا من دخولي طريقة السير والسلوك في عام ١٩٧٥، تنبّهت إلى وجود هذه العقبة الكأداء في وجودي. ولولا عناية الله جلّ وعلا لما تنبّهت إليها، ولولا رحمته وعطفه وشفقته عليّ لما تيسّر لي هذا الجهاد الصعب، ولما سهلت ولانت عليّ زبر الحديد، ولما انفتحت عليّ أزقّة الجهاز العصبي المظلمة، ولما أشرقت عليّ ظلمات العقل الباطني.**

يا نفسُ ! إنه عالم السرّ وأخفى، ولا عالم سواه. وإذا أراد سبحانه أن يتفضّل على أحد بشيء من أكنان أسراره وغيابات غيوبه، فإنه يقول له كن فيكون، لا تعترضه في ذلك عارضة أيًا كانت، ولا يمنعه مانع مهما كان.

يا نفسُ ! إنه عالم بمَا ضَمِنَتْه أَكْنَانُ الْقُلُوبِ، وغَيَابَاتُ الْغُيُوبِ، ومَا أَصْغَتْ لِاسْتِرَاقِه مَصَائِخُ الأَسْمَاعِ، ومَصَايِفُ الذَّرِّ[1] ومَشَاتِي الْهَوَامِّ[2]، ورَجْعِ الْحَنِينِ مِنَ الْمُولَهَاتِ[3] وهَمْسِ الأَقْدَامِ، ومُنْفَسَحِ الثَّمَرَةِ مِنْ وَلَائِجِ غُلُفِ الأَكْمَامِ[4]، ومُنْقَمَعِ[5]

---

[1]: أعشاش النمل الصيفية.

[2]: أماكن الحشرات الشتائية.

[3]: أنين الناقة حين تفقد ولدها.

[4]: مكان نمو الثمرة ورشدها.

[5]: مكان اختباء الوحوش.

الْوُحُوشِ مِنْ غِيرَانِ[1] الْجِبَالِ وأَوْدِيَتِهَا، ومُخْتَبَئِ الْبَعُوضِ بَيْنَ سُوقِ الأَشْجَارِ وأَلْحِيَتِهَا، ومَغْرِزِ الأَوْرَاقِ مِنَ الأَفْنَانِ[2]، ومَحَطِّ الأَمْشَاجِ[3] مِنْ مَسَارِبِ الأَصْلَابِ، ونَاشِئَةِ الْغُيُومِ ومُتَلَاحِمِهَا، ودُرُورِ قَطْرِ السَّحَابِ فِي مُتَرَاكِمِهَا، ومَا تَسْفِي[4] الأَعَاصِيرُ بِذُيُولِهَا، وتَعْفُو[5] الأَمْطَارُ بِسُيُولِهَا، وعَوْمِ بَنَاتِ الأَرْضِ فِي كُثْبَانِ الرِّمَالِ، ومُسْتَقَرِّ ذَوَاتِ الأَجْنِحَةِ بِذُرَا شَنَاخِيبِ الْجِبَالِ[6]، وتَغْرِيدِ ذَوَاتِ الْمَنْطِقِ فِي دَيَاجِيرِ الأَوْكَارِ، ومَا أَوْعَبَتْه[7] الأَصْدَافُ وحَضَنَتْ[8] عَلَيْه أَمْوَاجُ الْبِحَارِ، ومَا غَشِيَتْه سُدْفَةُ[9] لَيْلٍ أَوْ ذَرَّ عَلَيْه شَارِقُ نَهَارٍ[10]، ومَا اعْتَقَبَتْ[11] عَلَيْه أَطْبَاقُ الدَّيَاجِيرِ وسُبُحَاتُ النُّورِ وأَثَرِ كُلِّ خَطْوَةٍ، وحِسِّ كُلِّ حَرَكَةٍ ورَجْعِ كُلِّ كَلِمَةٍ، وتَحْرِيكِ كُلِّ شَفَةٍ ومُسْتَقَرِّ كُلِّ نَسَمَةٍ، ومِثْقَالِ كُلِّ ذَرَّةٍ وهَمَاهِمِ[12] كُلِّ نَفْسٍ هَامَّةٍ، ومَا عَلَيْهَا مِنْ ثَمَرِ شَجَرَةٍ أَوْ سَاقِطِ وَرَقَةٍ، أَوْ قَرَارَةِ نُطْفَةٍ أَوْ نُقَاعَةِ دَمٍ ومُضْغَةٍ، أَوْ نَاشِئَةِ

---

(١): الشقوق.

(٢): مكان نمو الأوراق من الأغصان.

(٣): النطفة.

(٤): تنثر وتنشر.

(٥): تحطّم.

(٦): قلل الجبال الشامخة.

(٧): تضمّنته.

(٨): ربت في أحضانها.

(٩): ظلام.

(١٠): طلعت عليها الشمس.

(١١): تعاقبت.

(١٢): جمع همهمة.

خَلْقٍ وسُلَالَةٍ، لَمْ يَلْحَقْه فِي ذَلِكَ كُلْفَةٌ[1]، ولَا اعْتَرَضَتْه فِي حِفْظِ مَا ابْتَدَعَ مِنْ خَلْقِه عَارِضَةٌ، ولَا اعْتَوَرَتْه فِي تَنْفِيذِ الأُمُورِ وتَدَابِيرِ الْمَخْلُوقِينَ مَلَالَةٌ ولَا فَتْرَةٌ[2].

يا نفسُ ! حتى أني لم أكن أعرف ما هو معنى (إلهي فكّ رقبتي من النار)، والتي هي منتشرة في أدعية الأئمّة عليهم السلام. **حتى انكشف عليّ مغزاها في ليلة القدر**. يقول الله تعالى: فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ* فَكُّ رَقَبَةٍ* أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ* يَتِيماً ذَا مَقْرَبَةٍ* أَوْ مِسْكِيناً ذَا مَتْرَبَةٍ* ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ* أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ [3].

يا نفسُ ! إن هذا هو فكّ رقبتك ورقبتي من النار، ومن السلاسل والقيود والأغلال، التي لا نعرف عنها شيئًا في حياتنا العادية، ونحوّل كل هذه الأشياء إلى ما بعد مليارات السنين، وإلى يوم القيامة. جميع هذه الأشياء يجب أن تتحقّق هنا في حياتك، والتي هي فرصتك الوحيدة في هذه الدنيا. إن هذه الدنيا هي مزرعة الآخرة، ولا مزرعة سواها.

يا نفسُ ! أما إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ يَتِيماً ذَا مَقْرَبَةٍ أَوْ مِسْكِيناً ذَا مَتْرَبَةٍ، فهو إطعام الفقراء إلى الله. إلهي اجعلني ممن يطعمون فقراء الله من مائدتك يا رب !

يا نفسُ ! **وأقولها بصراحة إني استفدت من كتابة كتبي الشيء الكثير. فأنا أول المستفيدين منها. فقد هداني الله إلى سبله. وما ترويض العقبة الكأداء إلا ثمرة كتاباتي التي سهّلها الله عليّ. وآمل أن يأكل الفقراء إلى الله من هذه الثمار أيضًا، وهي ثمار الجنة حقًّا. فها قد بسطت موائد الله، فأين الفقراء إلى الله من هذه الموائد !!!**

---

[1]: مشقة.

[2]: من كلام الإمام علي عليه السلام.

[3]: [البلد : ١١ - ١٨].

يا نفسُ ! إنها قيثارة الملكوت، تضرب عليها الملائكة موسيقى الخلود، كي تخلب بها لبّ الفقراء وتستهويهم، فتطرب لها طربًا شديدًا، وتقلّهم أجنحتها إلى السماء، فيرتفع في صوتها نغم كأنه كوكب يتغنّى، فيتوق القمر إلى أنغامها، وتتطلّع النجوم إلى إيقاعها.

يا نفسُ ! إن العطاء حاجة من حاجات ثمار الجنة، لا تعيش بدونها، كما أن الأخذ حاجة من حاجات المريدين، لا يحيون بغيرها. إن جمال الملكوت وموسيقى الخلود صورة يبصرونها ولو أغمضوا عيونهم، وأنشودة يسمعونها ولو أغلقوا آذانهم، وعطور الأزهار والورود البديعة يستروحونها، ولو سدّوا مناخرهم. إن من يترنّم بأناشيد أسرارها في آذان الأبديّة هم جوقة من الملائكة ترفرف بأجنحتها إلى منتهى الدهور.

يا نفسُ ! لقد اخترق علماء الغرب حجب أسرار الكون. أليس الأحرى بنا الآن أن نخترق معًا حجب أسرار النفس والروح ! فإن بعد النفوذ في الأسرار واختراقها، ومعرفة أغوار النفس وأعماقها، وتخطّي عقباتها وشدائدها وأهوالها، وتحطيم قيودها وسلاسلها وأغلالها، وفي نهاية المطاف، بعد ترويض العقبة الكأداء، سعادة خالدة ليس مثلها سعادة، تبقى لك في عاقبة حياتك وفي الخلود بعد مماتك. والسعادة الخالدة هي ما تحنّ وتصبو إليه فطرتنا، وهي الدعامة الأساسيّة التي تدور حولها رحى حياتنا ووجودنا. وقد ذكرت تفاصيلها في كتابي (قدوة الفقهاء والعرفاء).

يا نفسُ ! إن اقتحام العقبة الكؤود، وفكّ الرقبة من القيود، يؤول بنا إلى أكنان الدّعة، وأوطان السّعة، ومعاقل الحرز، ومنازل العزّ.

يا نفسُ ! إن العقبة الكأداء هو الرجس أو الشرك الخفيّ الذي بقي متأصّلًا في الجهاز العصبي والفيزيولوجي وفي العقل الباطن. إنه من بقايا عهود الجاهليّة من عمرنا في الطفولة والمراهقة، وقبل هدايتنا إلى طريقة السير والسلوك. في تلك العهود الظلماء كنا

ننسب التدبير والاختيار إلى أنفسنا، وفي تلك الأيام كان الله قد وكلنا إلى أنفسنا. والنفس هي معوجّة بالأساس، وقد أدركت الأشياء بطريقتها الخاصة بها، وهذه الطريقة هي مليئة بالجهل والفجاجة والغرور.

يا نفسُ ! في تلك الأيام لم يكن الله عز وجل قد رزقنا بعد التجافي عن دار الغرور والإنابة إلى دار الخلود. والغرور يتلقّى الأشياء بطريقته الصعبة، وبردود أفعال عصبيّة فيزيولوجيّة. وبدل أن يعرف الجهاز العصبي **بأن قوانا** إنما هي **قوى الله تفيض في الوجود**، كانت تظنّ أنها قوانا، وكانت جميعها تدور حول إمبراطوريّة النفس، وعلى رأسها الإمبراطور إبليس. وبدل أن يعرف الجهاز العصبي **بأن تدبيرنا** إنما هو **تدبير الله يفيض في الوجود**، كانت تحسب أنه تدبيرنا. ولذلك فإن القوى والتدبير وضعا في غير محلّها. وهذا الجهل سبّب التراكمات المركّبة في الإحباطات النفسية، التي تسرّبت إلى العقل الباطني والجهاز العصبيّ.

يا نفسُ ! وإذا وضعنا الأشياء مواضعها وفي محلّها المناسب، فإن القوى والتدبير من الله العزيز الحكيم، وأن موقفنا يجب أن يكون الشكر الشكر الشكر لا غيره. وإذا لم يكن الشكر متأصّلًا في جهازنا العصبي وفي عقلنا الباطن، فهذا هو الشرك الخفيّ أو الرجس بعينه. إن نفسنا جعلت من نفسها ـ في أيام إمبراطوريتها ـ شريكًا لله والمعاذ بالله من الجهل. وما دام الشكر مفقودًا في أعماق أعماقنا وفي بواطن بواطننا فالشرك الخفيّ هنالك بالمرصاد.

يا نفسُ ! وكلما كرّرت ذكر الشكر، وتنعّمت به، استخذى الشرك الخفيّ وتضائل وضعف، ووهنت قواه، وتناقصت هيمنته عليك، وأخيرًا يسلم الشيطان على يديك كما حصل للرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم إذ قال: "أسلم الشيطان على يدي

وأعانني الله عليه". وفي نهاية المطاف، يلوّح إبليس وجنوده براية السلام البيضاء في الآفاق، ببركة الذكر والجهاد، ونقاء النيّة والإخلاص، والعزيمة والتصميم وهمّة الرجال.

يا نفسُ ! إن الرجس أو الشرك الخفيّ، واستئصاله من جذوره في نظامك العصبي يتطلّب جهاد العمر. إنه نوع من الانفصام في شخصيتك، وشغل هذه الهوّة وهذا الفراغ الذي فتحه هذا الانفصام في وجودك، لا يستطيع أيّ شيء أن يملأ هذه الهوّة الواسعة، أو يشغل هذا الفراغ المزمن إلا **الشكر**.

يا نفسُ ! نعم الشكر في مقابل الشرك ـ نفس الحروف ولكن الحرفين الأخيرين يجب أن يقلبا حتى تتحقق الطهارة الكاملة في وجودك !

يا نفسُ ! والسبب في أن جهاد الشرك الخفيّ والرجس يتطلّب هذا الوقت الطويل، هو أنه تتراكم على لبّ الرجس قشور فوق قشور وطبقات فوق طبقات وشرائح فوق شرائح، بحيث لا تستطيع أن تتلمّس طريقك إلى الرجس نفسه، لأنه يشغلك بقشوره وطبقاته وشرائحه لسنوات طويلة.

يا نفسُ ! فكل شريحة وطبقة منها هي مشكلة كبرى في حياتك، وتحتاج إلى ذكر معيّن وإلى جهاد عظيم، وربما لأشهر أو لسنوات، كي تزيلها من وجودك ـ أو بالأحرى أن يزيلها الله عن وجودك.

يا نفسُ ! وإذا لم تشحذي الهمّة والعزيمة لمحاربة هذا الشرك الخفيّ والرجس المزمن ـ بكل قشوره وطبقاته وشرائحه واحدة واحدة ـ فإنك لا زلت لم تبدئي الجهاد الأكبر.

يا نفسُ ! إن الشرك الخفيّ ـ أو بعبارة أخرى الرجس ـ متجذّر في نظامك العصبيّ وفي عقلك الباطن. واستئصال كل هذه القشور والطبقات والشرائح المتراكمة، ومن ثمّ

الرجس نفسه، ربما تأخذ منك سنوات أو عقودًا، هذا إذا كنت تعملين وتجاهدين في نفسك بكل جدّيّة وإخلاص، وإلا فلا.

يا نفسُ ! إنها العقبة الكأداء التي تكلّمتُ عنها في فصل خاص في كتابي (خمسة من العرفاء). وتجاوزها وتخطّيها والخلاص منها إنما هي فكّ رقبتك ورقبتي من عقالها. إنها فكّ رقبتك ورقبتي من النار[1] !!!

[1]: من كتابي وحدة الإرادة في الوجود.

أين الدنيا من الآخرة

يا نفسُ ! إن الطبيعة أو النفس أو الدنيا منغمسة في مقطع حياتيّ، ولكن العقل الروحاني له إحاطة على الحياة برمّتها، من قبل الولادة إلى ما بعد الموت.

يا نفسُ ! إن الصورة في سياق هذه الإحاطة تختلف كثيرًا عن الصورة في سياق مقطع حياتيّ، كمن يرى الكرة الأرضية من علوّ شاهق، بألوانها الزاهية، وهي تدور حول نفسها، وتصغر في عينيه الأعيان البشرية، وهي تتحرّك على سطح هذه الكرة الصغيرة. وكل فرد من البشر يعيش مشاكله التي تترائى له كبيرة ومعقّدة، في حين أنها صغيرة جدًّا في عين المراقب على القمر أو المريخ، صغر الأعيان البشرية ذاتها.

يا نفسُ ! إن هذا المراقب له إحاطة على الكرة الأرضية من علوّ شاهق، في حين أن ذلك الفرد البشريّ يعيش في بيت صغير في هذه الكرة متذمّرًا من حياته ومن مشاكله (الكبيرة المعقّدة). وفي فصل لاحق تحت مسمّى (المتذمّرون لصوص الشرف) نذكر كيف هم المتذمّرون في عين الله عزّ وجلّ.

يا نفسُ ! أين الثرى من الثريّا وأين الطبيعة من العقل وأين الدنيا من الآخرة وأين النفس من العقل الروحاني !

يا نفسُ ! لقد قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: "ما أَخَذَتِ الدُّنْيَا مِنَ الآخِرَةِ إلاّ كَمَا أَخَذَ المِخْيَطُ غُرِسَ في البَحْرِ مِنْ مَائِهِ".

يا نفسُ ! أين الحياة القصيرة على الأرض من الآخرة وسعتها وجمالها وحورها وقصورها، ومجد الجنّة وجلالها وبهائها وعظمتها ! وفي فصل لاحق تحت مسمّى (مجد الجنة وجلالها وبهاؤها وعظمتها) سوف ترى وصف الجنّة.

المتذمّرون لصوص الشرف

يا نفسُ ! عندما حقّق عيسى عليه السلام معجزته العظيمة بإذن الله مع الجنود الرومان، وحينما رأى الكهنة والفريسيون ذلك، تذمّروا[1] فيما بينهم وقالوا: إنه (يعني عيسى عليه السلام) يملك حكمة بعل وعشتاروت، وقد فعل ما فعل بقوّة الشيطان.

---

[1]: تذمّروا بدل أن يفتحوا قلوبهم لهذه المعجزة العظيمة، ويتأمّلوا ويتبصّروا من هو المتكلّم ومن هم المخاطبون. المتكلّم هو عيسى الذي يدافع عن الله، وعن دين الله الحقيقي، والمخاطبون هم الكفار من جنود الرومان، الذين يدافعون عن أوثانهم، ويركنون إلى قوّتهم العسكريّة. وبدل أن يفتح الكهنة والفريسيّون قلوبهم، على نبوّة عيسى، إلا أنهم فتحوا أذهانهم الوسخة، على أحقادهم القديمة، ومصالحهم الشخصيّة. فأيّ ذنب أكبر من هذا !

وثانيًا: بدل أن يضعوا الأشياء مواضعها الصحيحة، وينسبوا المعجزة إلى قوّة الله تعالى، التي ظهرت في نبيّه عيسى، فإذا هم ينسبون المعجزة إلى قوّة الشيطان، ويسرقون عيسى هذا الشرف العظيم. أليست لصوصيّة الشرف من أعظم الذنوب، التي لا يغفرها الله ؟ أتعلمون لماذا ؟ لأن هذه اللصوصيّة مرض عضال لا يعتبرها البشر مرضًا، بل يعتبرها مادة للفخر والمباهاة، وإرضاء لعقدة العظمة عندهم، فلذلك لا يندمون عليها، ولا يتوبون عنها، فكيف يغفر الله هذا الذنب العظيم، إذا كان المذنب لا يشخّص مرضه، وفداحة معاصيه وآثامه.

فتعلمي الدرس، وخذي العبرة من عابد بني اسرائيل، وهو يتأمّل في السماء والشمس والقمر والنجوم، ويرى بأمّ عينيه طاعتها المطلقة في خدمة الله وفي عبادة الله ! ثم ينظر في نفسه، وهو يتذمّر من قلّة المطر تارة، ومن كثرة المطر تارة أخرى، ويتذمّر من حرارة الشمس الملتهبة تارة، ومن برودة الهواء تارة أخرى، ويتذمّر من قلّة ضوء القمر والنجوم، التي لا تساعده على الرؤية الصافية في الليلة الحالكة. أليست كل هذه التذمّرات والدمدمات والزمزمات لصوصيّة شرف الله ؟

يا نفسُ ! عندها فتح عيسى عليه السلام فمه الشريف، وهو الناطق بالحقّ المبين قائلا: إن الله قد أمرنا أن لا نسرق متاع جارنا. ولكن هذه الفريضة النادرة في نوعها، قد انتهكت ودنّست وهتكت وأسيئ استعمالها، بحيث أنها ملأت العالم ذنوبًا وآثامًا ومعاصي.

إن الله سبحانه وتعالى لا يغفر هذا الذنب، كما يغفر الذنوب الأخرى. فإن الإنسان ربما بكى وندب على ذنب ولم يكرّره، أو صام وصلّى وزكّى تكفيرًا عن الذنب، فإن الله القادر الرحيم سوف يغفر له ذلك الذنب. بيد أن هذا الذنب لا يغفره الله البتة، إلّا أن تردّ بضاعة الشرف إلى صاحبها، كما سرقت من صاحبها[1].

ولكن طوبى لمن شخّص مرضه العضال، وعرضه على الله عاريًا مكشوفًا، يستعطفه ويستمطر رحمته ورأفته وشفقته ! حينئذ ينظر الله سبحانه وتعالى إلى عبده، بنظر الرحمة والعطف والرأفة، ويحوّل حالته البشريّة إلى حالة الله، أي الحالة الإلهيّة والمقام الربّاني، ويجعله ربّانيًا بعد أن كان بشريًا. فتعلّموا يا لصوص الشرف ويا أيها المتذمّرون ! شخّصوا مرضكم العضال، واستعطفوا ربكم، إنه كان غفّارًا، ينزل سماء رحمته عليكم مدرارًا، ويهديكم صراط الذين أنعم عليهم من الأنبياء والأولياء والأئمّة الطاهرين، والعيش في جوارهم أبد الآبدين.

[1]: وما أسرع ما ردّت الأئمّة بضاعة الشرف إلى عيسى، بعد ما سرقها أجدادهم منه. ومن الخاسر في نهاية المطاف ؟ هم والله أجدادهم الذين سرقوا بضاعة الشرف من عيسى، واتّهموه بعبوديّة الشيطان، ومثّلوه ببعل وعشتاروت.

وما أسرع ما ردّت الأئمّة بضاعة الشرف إلى محمد صلى الله عليه وآله وسلم، بعد ما سرقها أجدادهم منه. ومن الخاسر في نهاية المطاف ؟ هم والله أجدادهم الذين سرقوا بضاعة الشرف من محمد صلوات الله عليه وآله، واتّهموه بالجنون والسحر والكذب، واضطهدوه شرّ

يا نفسُ ! عندها قال أحد الكتاب: أيها المعلّم كيف أن اللصوصيّة والسرقة والنهب قد ملأت الدنيا آثامًا وذنوبًا ؟ لا جرم أن حالات السرقة والنهب في زماننا قليلة بفضل الله ورحمته، وأن اللصوص لا يجرؤون على الظهور، وإلا شُنقوا حالًا من قبل السلطة.

يا نفسُ ! فأجاب عيسى: إن الذي لا يعرف البضاعة لا يعرف اللصوص. الحق أقول لك: إن هناك كثيرين يسرقون، ولا يعلمون ماذا يفعلون، ولذلك فإن ذنبهم أعظم من غيرهم، لأن المرض الذي لا يُعرف ولا يُشخّص، لا يُبرئ ولا يُداوى.

اضطهاد، ورموه بالحجارة حتى أثخنوه دمًا، وحتى قال صلوات الله عليه وآله: "ما أوذي نبيّ بمثل ما أوذيت".

وما أسرع ما ردّت الأمّة بضاعة الشرف إلى علي وفاطمة والحسن والحسين والتسعة المعصومين من ولد الحسين عليهم السلام، بعد ما سرقها أجدادهم منهم. ومن الخاسر في نهاية المطاف ؟ هم والله أجدادهم الذين سرقوا بضاعة الشرف منهم، وقتلوهم إما بالسيف وإما بالسمّ الزعاف.

ونفس القصّة تستمرّ مع أولياء الله الصالحين إلى يوم القيامة. فكانت مشيئة الله أن يكونوا غرباء في أوطانهم، تسرق منهم بضاعة الشرف، وأيّما سرقة ! وتُعطى بضاعة الشرف إلى من لا يستحقّونها، من أهل الدنيا في هذه الدنيا، ممن قال عنهم الرسول الأعظم صلوات الله عليه وآله: " أَبْغَضُ الْعِبادِ إِلَى اللَّهِ مَنْ كانَ ثَوْبَاهُ خَيْرَاً مِنْ عَمَلِهِ: أَنْ تَكُونَ ثِيابُهُ ثِيابَ الْأَنْبِياءِ؛ وَعَمَلُهُ عَمَلَ الْجَبَّارِينَ".

فلصوصيّة الشرف من كبريات المعاصي عند الله، لا يغفرها الله، إلا إذا ردّت بضاعة الشرف إلى أصحابها الحقيقيين، كما سرقت منهم. وما أندر الأفراد الذين يردّون بضاعة الشرف إلى أصحابها في حياتهم، فيحصلون على غفران الله ورضوانه.

يا نفسُ ! ثم اقترب الفريسيون من عيسى وقالوا: أيها المعلّم إنك الوحيد في اسرائيل، الذي تعرف الحق والحقيقة، فعلّمنا إيّاها.

أجاب عيسى: لا أقول إني الوحيد في اسرائيل، الذي يعرف الحقّ والحقيقة. إن كلمة الوحيد والأوحد والأحد، مختصّة بالله وحده لا بغيره. لأنه الحقّ وهو الوحيد الذي يعرف الحقّ. ولذلك إذا أنا ادّعيت أني الوحيد، فأنا أعظم لصّ، لأني أكون قد سرقت شرف الله ومجده. وإذا ادّعيت أني الوحيد الذي يعرف الله، أكون قد وقعت في جهل عظيم.

لذلك فقد اقترفتم ذنبًا فظيعًا، بقولكم أني الوحيد الذي يعرف الحق والحقيقة. وأقول لكم إن ذنبكم أعظم، إذا كنتم فعلتم ذلك لإغوائي وإغرائي.

يا نفسُ ! فلما رأى عيسى أنهم سكتوا، كأن على رؤوسهم الطير، تكلّم ثانية وقال: ورغم أني لست الوحيد في اسرائيل الذي يعرف الحقّ، ولكني الوحيد الذي يتكلّم. لذا اسمعوا لي وأنصتوا لأنكم سألتموني.

كل الأشياء التي خلقها الله، تختصّ بالله وحده، بحيث أن لا مجال لأحد أن يدّعي ملكيّة أيّ شيء. لذلك فإن الروح والحواس والجسد والزمان والمتاع والشرف كلها لله، بحيث أن الإنسان يعتبر لصًّا، إذا كان قد حصلها بما لا يرضي الله. كذلك هو يعتبر لصًّا، إذا كان قد أنفقها بما لا يرضي الله.

بحقّ الحيّ الذي لا يموت والذي نفسي بيديه، إذا كنتم تسوّفون وتقولون: سأفعل ذلك غدًا، أو سأقول ذلك غدًا، أو سأذهب إلى ذلك المكان غدًا، ولم تقولوا: (إنشاء الله)

فإنكم لصوص[1]. وأنتم تعتبرون من أكبر اللصوص، إذا قضيتم أحسن أوقاتكم في إرضاء أنفسكم، لا في إرضاء الله، وقضيتم أسوء أوقاتكم في خدمة الله وعبادته.

وكل من اقترف إثمًا، أيا كان الآثم، وأيا كان الإثم، فهو يعتبر لصًّا، لأنه يسرق من وقته وروحه وحياته، التي ينبغي له أن يكرّسها جميعها لخدمة الله وعبادته، ثم يعطيها للشيطان الذي هو عدوّ الله.

فالإنسان شرفه وحياته ومتاعه كلها هي بضاعته. فإذا سرق سارق متاعه شنق، وإذا أخذ القاتل حياته قطع رأسه. وهذه الأوامر جاءت صريحة في الناموس، ومن وصايا الله سبحانه وتعالى إلى عبده موسى.

ولكن إذا دنّس شرف الجار وانتهك وهتك، فلماذا لا يصلب سارق الشرف ؟ هل المتاع حقًّا أحسن من الشرف ؟ هل الله حقًّا أمر بأن يعاقب سارق الأمتعة، وأن يقاصّ قاتل النفس، ولا يعاقب ولا يجازى سارق الشرف، بل يُترك حرًّا طليقًا ؟

---

[1]: إذا أنتم أظهرتم مشيئتكم، من دون أن تكون مشروطة بمشيئة الله، فأنتم من أكبر اللصوص، لأنكم سرقتم شرف الله ومجده. فالمشيئة هي من اختصاص الله وحده، لا من اختصاصكم. فكم من عزيمة عزمتم واتّكلتم عليها، هدم الله بنيانها من أساسه ! يقول الإمام الحسين عليه السلام في دعاء عرفة: "إِلهِي كَمْ مِنْ طاعَةٍ بنَيْتُها وَحالَةٍ شَيَّدْتُها هَدَمَ اعْتِمادِي عَلَيْها عَدْلُكَ بَلْ أَقالَنِي مِنْها فَضْلُكَ". وكم من حالات فسخ العزائم ونقض الهمم أيقظت الضمائر إلى معرفة الله تعالى ! بلى أيقظت الضمائر إلى أن هناك قوّة عظمى تحول بينك وبين ما تريد، أو تسهّل عليك المستحيل. يقول الإمام علي عليه السلام: "عَرَفْتُ اللهَ سُبْحَانَهُ بِفَسْخِ الْعَزَائِمِ، وَحَلِّ الْعُقُودَ، نَقْضِ الْهِمَم". ويقول الإمام الحسين عليه السلام في دعاء عرفة: "إِلهِي إِنَّ اخْتِلافَ تَدْبِيرِكَ وَسُرْعَةَ طَواءِ مَقادِيرِكَ مَنَعَا عِبادَكَ العارِفِينَ بِكَ عَنِ السُّكُونِ إِلى عَطاءٍ وَاليَأْسِ مِنْكَ فِي بَلاءٍ".

بالتأكيد لا ! لأن أجدادنا منعوا من دخول أرض الميعاد، وذلك بسبب تذمّرهم ودمدمتهم وزمزمتهم وشكايتهم. بيد أن أولادهم دخلوا أرض الميعاد فيما بعد. وبسبب هذا الإثم العظيم، قتلت الحيّات والثعابين حوالي ٧٠,٠٠٠ من أجدادنا في التيه.

بحق الحيّ الذي لا يموت والذي نفسي بيديه، إن سارق الشرف يستحقّ عقابًا أكبر من الذي يسرق الإنسان متاعه وحياته. والذي ينصت إلى المتذمّر الشاكي ويتعاطف معه، هو أيضًا مجرم، لأن المتذمّر يحتضن الشيطان في لسانه، في حين أن المستمع يحتضن الشيطان في أذنه.

يا نفسُ ! فاستشاط الفريسيون غضبًا لدى سماعهم ذلك، لأنهم لم يستطيعوا إدانة حديثه.

يا نفسُ ! فاقترب مطبّب إلى عيسى وقال: أيها المعلّم الطيب ! إن الله كان يعلم مسبقًا أن أجدادنا في التيه، سوف يتدهورون صحّيًا، فلماذا لم يعطهم القمح والفواكه ؟

يا نفسُ ! أجاب عيسى: أنت تناديني بالطيّب، ولكنك تخطئ، لأن الله وحده هو الطيّب. وإنك تخطئ أكثر بسؤالك، لماذا لم يفعل الله حسب عقلك. مع ذلك سوف أردّ عليك. أخبرك أن الله خالقنا وبارئنا، لا يعمل بموجب إرادتنا، ولذلك ليس مباحًا للمخلوق، أن ينشد هوى نفسه، بل أن ينشد شرف الله خالقه وبارئه، ويبحث عنه ويفتّش عنه في كل شيء، كي يعتمد المخلوق على الخالق، لا الخالق على المخلوق.

بحق الحيّ الذي لا يموت والذي نفسي بيديه، لو أعطى الله الإنسان كل شيء لطغى، ولاعتبر نفسه سيدًا على الجنة، ولم يحسب نفسه عبدًا لله. لذلك فإن الله تبارك اسمه، منعه من الطعام، كي يبقى الإنسان تابعًا خاضعًا مذعنًا لله سبحانه وتعالى.

والحق أقول لك، من كانت عينه صافية، رأى كل شيء صافيًا، واجتذبت عينه الضوء، حتى من الظلمة نفسها. أما الأعمى فلا يستطيع ذلك. ولذلك أقول لك: لو لم يذنب الإنسان، لما عرفت أنا ولا أنت رحمة الله وصلاحه واستقامته. ولو أن الله قد جعل الإنسان غير قادر على الذنب، لكان الإنسان كفؤًا وندًّا لله، في ذلك الأمر.

لهذا خلق الله تعالى الإنسان طيّبًا وصالحًا، بيد أنه سبحانه جعل الإنسان حرًّا في أن يفعل ما يسرّه ويرضيه، بخصوص حياته، وفلاحه أو هلاكه.

يا نفسُ ! فتحيّر المطبّب وذهل واندهش من هذا الجواب، وغادر في حيرة وارتباك[1].

[1]: من كتابي هكذا تكلّم عيسى عليه السلام.

أو من كان ميتًا فأحييناه

يا نفسُ ! ضعي هذه الدنيا الصغيرة التي نسمّيها الطبيعة وضآلتها في سياق عظمة الآخرة.

يا نفسُ ! يقول الله تعالى: أَوَ مَن كَانَ مَيْتاً فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُوراً يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ[1].

يا نفسُ ! نعم إن الطبيعة هي الموت، والمطمئنّ بها كمن كان في الظلمات ليس بخارج منها. والعقل الروحاني هو الحياة وهو النور. وأيّ نفس وردت إلى عالم الطبيعة فلا بدّ لها أن تسلك إما الموت والظلمات وإما الحياة والنور، إما القتل وإما الأسر، فالقتل هو الموت الاختياري قبل الموت، والأسر هو طول العذاب ونكد الحياة الدنيا، وهوان العيش فيها، وذلّ العبودية للمال والجاه.

يا نفسُ ! فمن اختار القتل فقد مات عزيزًا، وكان موته حياة له، واستراح من الأسر وهوانه وطول ذلّه. ومن اختار الموت الاختياريّ قبل الموت الحقيقيّ فقد عاش في دار الخلود عزيزًا، وكان موته حياة له، واستراح من عبوديّة الدنيا والمال والمنال وهوانه وطول ذلّه.

يا نفسُ ! فاخرجي من قوقعة ضيق الطبيعة، وارتقي مدارج السموّ، واخرجي من متاهات العلم الناقص، وارتقي إلى الإحاطة الكاملة في مدارج العقل، ولا تتواني في جهاد الطبيعة العمياء، ولا تنزعي سلاحك، ولا تكفّي نفسك، ولا تستسلمي لعدوّك، كي لا تأسري في أغلاله وأصفاده وسلاسله وقيوده، وفي نيران جهله وضلاله وعبوديته.

---

[1]: [الأنعام : ١٢٢].

يا نفسُ ! أين الذين وصفهم الله تعالى بهذه الآية: إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلَاسِلَا وَأَغْلَالاً وَسَعِيراً[1] ، من الذين وصفهم جلّ من قائل بهذه الآيات: إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُوراً* عَيْناً يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيراً[2] ! أين الثرى من الثريّا!

يا نفسُ ! من قاتل نفسه الأمّارة بسلاح نهج السلوك والذكر والجهاد الأكبر ومعرفة النفس، وحمى نفسه ولم يستسلم لعدوّه اللدود، ألا هو الطبيعة العمياء المتغلغلة في مخّه وشبكة أعصابه، فقد فاز ونال الشهادة العظمى.

---

[1]: [الإنسان : ٤].

[2]: [الإنسان : ٥ - ٦]

يا نفس ! أكملي مشوار السير والسلوك

يا نفسُ ! لا تستسلمي في نصف الطريق، ولا تبقي على الصراط، فمن بقي على الصراط بقي في بعده عن الله محرومًا من جوار الحق تعالى.

يا نفسُ ! أكملي مشوار السير والسلوك، قبل أن ينتزعك الموت انتزاعًا، واستمدّي قوّتك وطاقتك من المعين الأزليّ الأبديّ الذي لا ينضب، الذي هو عين الحياة وينبوع الطاقات.

يا نفسُ ! إن جوار الحقّ تعالى والالتصاق به حريّ أن يغدق عليك مواهب عين الحياة، ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على بال بشر.

يا نفسُ ! هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون. فالعلم والمعرفة من نتاج العقل، فدعي المعرفة تلعب دورًا أكبر في ساحة هذه الحرب الضروس بين الروح والنفس، فإن الحياة عقيدة وجهاد.

يا نفسُ ! انظري كيف شوّه الشيطان المتمثّل في النفس أو الدنيا أو الطبيعة فطرتك التي فطرك الله عليها، وكيف تعاونت على ذلك عوامل الطبيعة حولك، من الناس الذين مسخواعلى شكل الدنيا، فصارت فطرتك أقرب إلى البهيمة منها إلى الملائكة.

يا نفسُ ! صرت عندما أتكلّم عن فطرتك وكأنّي أتكلّم حول أشياء صعبة معقّدة، تراها العقول الصغيرة علما صعب المنال، وصعبًا على الفهم والإدراك.

يا نفسُ ! وعندما أتكلّم عن ظهور الله في فطرتك وكأني أتكلّم حول فلسفة تصعب مفاهيمها على العقول.

يا نفسُ ! يقول الله تعالى: فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ[1].

يا نفسُ ! إن الفطرة الصافية هي الدين القيّم، فأقيمي وجهك للدين حنيفًا، واصرفي كل همّك لله الذي يظهر في فطرتك، فهو خالقك وبارئك وفاطرك ورازقك، وهو الذي يهب لك الطاقات والعقل والفهم والإدراك، وكلّ شيء تملكينه في هذه الدنيا، ثم يستردّ عند موتك ما قد خوّلك في هذه الحياة الدنيا. **فهو يفعل ما يشاء بحكمته ويحكم ما يريد بعزّته.**

يا نفسُ ! إن تعدّي نعم الله ومننه وكرائم منحه لا تحصيها. هو الذي منّ عليك، هو الذي أنعم، هو الذي أحسن، هو الذي أجمل، هو الذي أفضل، هو الذي أكمل، هو الذي رزق، هو الذي وفّق، هو الذي أعطى، هو الذي أغنى، هو الذي أقنى، هو الذي آوى، هو الذي كفى، هو الذي هدى، هو الذي عصم، هو الذي ستر، هو الذي غفر، هو الذي أقال، هو الذي مكّن، هو الذي أعزّ، هو الذي أعان، هو الذي عضد، هو الذي أيّد، هو الذي نصر، هو الذي شفى، هو الذي عافى، هو الذي أكرم.

يا نفسُ ! والطبيعة الجاهلة فيك هي التي أساءت، هي التي أخطأت، هي التي عصت، هي التي همّت، هي التي جهلت، هي التي غفلت، هي التي سهت، هي التي اعتمدت، هي التي تعمّدت، هي التي وعدت، هي التي أخلفت، هي التي نكثت.

يا نفسُ ! فانظري ماذا تختارين: الله أو الهوى، النفس المطمئنة أو النفس الأمّارة، السعادة أو الشقاء !

---

[1]: [الروم : ٣٠].

مجد الجنة وجلالها و بهاؤها وعظمتها

يا نفسُ ! قال الحواريّون مخاطبين عيسى عليه السلام:

حقًّا إن الله يتكلّم في وجودك. لأن البشر لم يتكلّم قطّ، كما تتكلّم، ولم يكن في مقدور البشر، أن ينطق بما تنطق به.

أجاب عيسى: صدّقوني إن الله سبحانه وتعالى، حينما اصطفاني وبعثني إلى بني اسرائيل، أعطاني كتابًا كالمرآة الصافية، نزل على قلبي، بحيث أن كل ما أنطق به، يأتي من ذلك الكتاب. وحينما ينتهي ذلك الكتاب، ويتوقّف عن التفجّر من فمي، سوف أرفع عن هذه الأرض.

فقال بطرس: أيها المعلّم هل الذي تنطق به الآن مكتوب في ذلك الكتاب ؟

أجاب عيسى: كل ما أنطق به عن علم الله، وعن خدمة الله وعبادته، وعن علم البشر، وعن خلاص البشر وفلاحه، كل هذا يأتي من ذلك الكتاب، والذي هو إنجيلي.

فسأل بطرس: هل مكتوب في ذلك الكتاب عن مجد الجنة وجلالها وبهائها وعظمتها ؟

أجاب عيسى: اسمعوا لي وأنصتوا، لأني سأخبركم عن كيفيّة الجنة، وكيف أن القدّيسين والمؤمنين، سوف يمكثون فيها، إلى ما لا نهاية، لأنها دار الخلود. والخلود من أعظم بركات الجنة ونعمها وسعاداتها، نظرًا إلى أن كل شيء، مهما كانت عظمته، يكون صغيرًا جدًّا، بل صفرًا ولا شيء، إن كانت له نهاية.

إن الجنة دار يدّخر فيه الله مباهجه وبسطه وسروره وفرحه، وهي عظيمة للغاية، بحيث أن أرضها التي تطؤها أقدام القدّيسين وأولياء الله الصالحين ثمينة وفاخرة ونفيسة للغاية، بحيث أن درهما واحدًا منها، أثمن وأفخر وأنفس من آلاف العالمين.

إن هذه المباهج شاهدها أبونا نبيّ الله داود، لأن الله أراه إياها، حتى يشهد أمجاد الجنة وجلالها وبهائها وعظمتها. وعندما رجع إلى نفسه، أغمض عينيه بكلتي يديه، وبكى وانتحب قائلًا: لا تنظري يا عيني إلى هذا العالم كرّة أخرى، لأنه جميعه باطل وسراب، ولا يوجد شيء طيّب هاهنا.

وعن هذه المباهج يقول أشعياء النبيّ: **لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على بال بشر، تلك المباهج التي هيّأها الله لعاشقيه ومحبّيه.**

أتعلمون لماذا لا يشاهد البشر، مثل هذه المباهج، التي لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على بال بشر ؟ لأن البشر في عيشه في أسفل سافلين، غير جدير بمشاهدة مثل هذه المشاهد. فلهذا على الرغم من أن أبانا داود قد رآها حقًّا، إلا أنه لم يرها بعيونه البشرية، بل إن الله رفع روحه ودمجها معه، وبالاتّحاد مع الله، رأى تلك المشاهد، بالنور الإلهيّ.

بحق الحيّ الذي لا يموت والذي نفسي بين يديه، نظرًا إلى أن مباهج الجنة غير محدودة ولامتناهية، وأن الإنسان محدود متناهي، لذا فإن الإنسان لا يستطيع احتوائها، كما لا تستطيع الجرّة الفخاريّة الخزفيّة احتواء البحر.

فانظروا كم هو جميل هذا العالم في فصل الصيف حين تؤتي الأرض ثمارها ! إن الفلّاح يسكره الجذل والفرح، بسبب الحصاد الوافر، فيملؤ الوديان والجبال غناء، لأنه يحبّ ثمار يديه وكدّه وكدحه حبًّا جمًّا. والآن ارفع قلبك إلى الجنة، حيث الوفرة من الثمار والفواكه، من تلك التي زرعها وفلحها الخالق العظيم.

بحق الحيّ الذي لا يموت، إن هذا يكفيكم للتعرّف على الجنة، نظرًا إلى أن الله قد خلق الجنة، ليكون دارًا لمباهجه.

يا ترى ماذا تتوقّع من الطيبة المطلقة إلا الطيبة المطلقة بلا حدود ! ويا ترى ماذا تتوقّع من الجمال المطلق إلا الجمال المطلق بلا حدود ! أنت في خطأ جسيم إذا فكّرت غير ذلك. وأنت في ضلال بعيد، إذا فكّرت أن الله جلّ وعلا لا يملك الطيبة المطلقة، والجمال المطلق، بلا حدود ولا نهاية.

لقد خاطب الله الإنسان الذي يخدمه ويعبده بكل إخلاص قائلًا:

أنا مطّلع على أعمالك، وبأنك تعمل من أجلي. بحقي أنا الحيّ القيّوم، إن حبّك لي ليس أوسع من فضلي وجودي وكرمي. ولأنك تخدمني وتعبدني أنا الله خالقك وبارئك، عارفًا بأنك من صنع يدي، وأنت لا تسألني شيئًا غير فضلي ونعمتي ومنّتي وصفحي وعفوي ومغفرتي ورحمتي ورفقي ورأفتي، كي تخدمني وتعبدني بكلّ إخلاص، وأنت لا تضع حدًّا ولا هدفًا لخدمتي وعبادتي، نظرًا إلى أنك تشتاق إليّ، وترغب في خدمتي وعبادتي أبد الآبدين ، كذلك سأفعل أنا بك، لأني سأكافئك، كما أنك الله وكما أنك عدلي.

وأنا لن أكافئك فقط، بأن أضع في يديك وفرة الجنة وفيضها وغزارتها، بل سوف أعطيك نفسي كهديّة. وكما أنك تشتاق، بكل فرح وسرور، أن تكون عبدي أبد الآبدين، كذلك سأجعل لك أجري وثوابي أبد الآبدين.

يا نفسُ ! واستمرّ عيسى في كلامه إلى الحواريّين قائلًا: يا ترى ماذا تفكّرون وتتصوّرون عن الجنة ! هل هناك عقل يقدر على درك مثل هذه الثروات والمباهج ؟ إن الإنسان ينبغي له علم، بعظمة علم الله، إذا أراد أن يعرف ما يريد الله إعطائه لعبيده المخلصين.

هل رأيتم الملك هيرود، كيف يقدّم هديّة ما إلى أحد أفراد حاشيته المفضّلين وأصحاب الزلفى عنده ؟

أجاب جون: لقد رأيت ذلك مرّتين. وبالتأكيد إن عشر ذلك الذي يعطيه، يكفي لرجل فقير.

فقال عيسى: ولكن إذا تقدّم رجل فقير إليه ماذا سيعطيه ؟

فأجاب جون: فلسًا أو فلسين.

يا نفسُ ! فقال عيسى: فليكن هذا كتابك، تدرس فيه علم الجنة. لأن كل ما أعطاه الله لجسد الإنسان في هذه الدنيا، تساوي فلسًا، أي بالضبط ما يعطيه الملك هيرود للرجل الفقير. بيد أن ما يعطيه الله للجسد والروح في الجنة، تساوي كما أن هيرود يعطي كل ما عنده، بل يعطي حياته رخيصة، لأحد من عبيده المخلصين أصحاب الزلفى عنده.

يقول الله لمن يحبّه ويخدمه بكل إخلاص:

يا عبدي اذهب، وعدّ حبّات رمل البحر، وانظر كم عددها. ولو أعطى لك البحر حبّة واحدة من الرمل، هل يترائى لك ذلك ضئيلًا ؟ بالتأكيد نعم ! أنا خالقك الحيّ القيّوم، كل ما أعطيته للأمراء والملوك على هذه الأرض، هي أقلّ من حبّة رمل، التي يعطيك إيّاها البحر، بالمقارنة مع ما سوف أعطيك في جنّتي.

يا نفسُ ! واستأنف عيسى قائلًا: تأمّلوا وتبصّروا في وفرة الجنة وفيضها وغزارتها. إذا كان الله قد أعطى للإنسان في هذه الدنيا، درهمًا واحدًا من الخير والرفاهية، فإنه سيعطيه في الجنة ألف ألف أضعاف.

تصوّر كمّيّة الفواكه في هذه الدنيا، وكمّيّة الطعام، وكمّيّة الورود والزهور، وكمّيّة الأشياء التي هي في اختيار الإنسان !

بحق الحيّ الذي لا يموت والذي نفسي بين يديه، كما أن البحر يطفح بالرمل الغزير، حتى بعد ما يتسلّم الإنسان حبّة منه، كذلك ستكون جودة التين وكمّيّته في الجنة، تفوق

جودة التين وكمّيّته في هذه الدنيا. وعلى نفس المنوال، ستكون حالة الأشياء الأخرى في الجنة.

والحق أقول لكم بأنه إضافة إلى كل هذا، فكما أن جبلًا من الذهب واللؤلؤ أفخر وأنفس من ظلّ النمل، كذلك فإن مباهج الجنة أفخر وأنفس من كل المباهج التي يتمتّع بها أمراء العالم، ما كان وما يكون إلى يوم القيامة[1].

[1]: من كتابي هكذا تكلّم عيسى عليه السلام.

الجنة تزهق لها أرواح الطيّبين شوقًا إليها

يا نفسُ ! وممّا قاله جعفر بن محمد الصادق عليه السلام عن وصايا الله عزّ وجلّ لعيسى عليه السلام[1] :-

قال : كان فيما وعظ الله تبارك وتعالى به عيسى بن مريم عليه السلام أن قال له :-

يَا عِيسَى شَمِّرْ، فَكُلُّ مَا هُوَ آتٍ قَرِيبٌ[2]، وَ اقْرَأْ كِتَابِي وَ أَنْتَ طَاهِرٌ، وَ أَسْمِعْنِي مِنْكَ صَوْتاً حَزِيناً، يَا عِيسَى لَا خَيْرَ فِي لَذَاذَةٍ لَا تَدُومُ، وَ عَيْشٍ مِنْ[3] صَاحِبِهِ يَزُولُ.

يَا ابْنَ مَرْيَمَ لَوْ رَأَتْ عَيْنُكَ[4] مَا أَعْدَدْتُ لِأَوْلِيَائِيَ الصَّالِحِينَ، ذَابَ قَلْبُكَ، وَ زَهَقَتْ نَفْسُكَ شَوْقاً إِلَيْهِ. فَلَيْسَ كَدَارِ الْآخِرَةِ دَارٌ، تَجَاوَرَ فِيهَا الطَّيِّبُونَ، وَيَدْخُلُ عَلَيْهِمْ فِيهَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ، وَهُمْ مِمَّا يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ أَهْوَالِهَا آمِنُونَ. دَارٌ لَا يَتَغَيَّرُ فِيهَا النَّعِيمُ، وَلَا يَزُولُ عَنْ أَهْلِهَا.

يَا ابْنَ مَرْيَمَ نَافِسْ فِيهَا مَعَ الْمُتَنَافِسِينَ، فَإِنَّهَا أُمْنِيَّةُ الْمُتَمَنِّينَ، حَسَنَةُ الْمَنْظَرِ. طُوبَى لَكَ يَا ابْنَ مَرْيَمَ، إِنْ كُنْتَ لَهَا مِنَ الْعَامِلِينَ، مَعَ آبَائِكَ آدَمَ وَ إِبْرَاهِيمَ فِي جَنَّاتٍ وَ نَعِيمٍ، لَا تَبْغِي بِهَا بَدَلًا وَ لَا تَحْوِيلًا[5]، كَذَلِكَ أَفْعَلُ بِالْمُتَّقِينَ.

---

[1]: بحار الأنوار: ٢٩٩/١٤ - الأمالي: ٣١٢ - روضة الكافي: ١٤١.

[2]: وفي نص الكليني (من كتاب كلمة الله صفحة ٣٨٩) : فكل آت قريب...

[3]: وفي نص الكليني (من كتاب كلمة الله صفحة ٣٩٠) : وعيش عن صاحبه يزول.

[4]: وفي نص الكليني (من كتاب كلمة الله صفحة ٣٩٠) : يا بن مريم ! لو رأت عيناك ...

[5]: يا بن مريم ! نافس فيها مع المتنافسين، فإنها أمنية المتقين، حسنة المنظر، طوبى لك يا بن مريم، إن كنت لها من العاملين، مع آبائك آدم وابراهيم في جنات ونعيم، لا تبغى بها بدلًا ولا تحويلًا، كذلك أفعل بالمتقين.

يَا عِيسَى اهْرُبْ إِلَيَّ مَعَ مَنْ يَهْرُبُ، مِنْ نَارٍ ذَاتِ لَهَبٍ، وَ نَارٍ ذَاتِ أَغْلَالٍ وَ أَنْكَالٍ، لَا يَدْخُلُهَا رَوْحٌ، وَ لَا يَخْرُجُ مِنْهَا غَمٌّ أَبَداً، قِطَعٌ كَقِطَعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ، مَنْ يَنْجُ مِنْهَا يَفُزْ، وَلَنْ يَنْجُوَ مِنْهَا مَنْ كَانَ مِنَ الْهَالِكِينَ. هِيَ دَارُ الْجَبَّارِينَ وَ الْعُتَاةِ الظَّالِمِينَ، وَكُلِّ فَظٍّ غَلِيظٍ، وَكُلِّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ[1].

يَا عِيسَى بِئْسَتِ الدَّارُ لِمَنْ رَكَنَ إِلَيْهَا[2]، وَ بِئْسَ الْقَرَارُ دَارُ الظَّالِمِينَ. إِنِّي أُحَذِّرُكَ نَفْسَكَ فَكُنْ بِي خَبِيراً.

يَا عِيسَى كُنْ حَيْثُ مَا كُنْتَ مُرَاقِباً لِي، وَ اشْهَدْ عَلَى أَنِّي خَلَقْتُكَ وَ أَنْتَ عَبْدِي، وَ أَنِّي صَوَّرْتُكَ وَإِلَى الْأَرْضِ أَهْبَطْتُكَ[3].

يَا عِيسَى لَا يَصْلُحُ لِسَانَانِ فِي فَمٍ وَاحِدٍ، وَلَا قَلْبَانِ فِي صَدْرٍ وَاحِدٍ، وَكَذَلِكَ الْأَذْهَانُ.

يَا عِيسَى لَا تَسْتَيْقِظَنَّ عَاصِياً وَ لَا تَسْتَنْبِهَنَّ لَاهِياً[4]، وَافْطِمْ نَفْسَكَ عَنِ الشَّهَوَاتِ الْمُوبِقَاتِ، وَكُلُّ شَهْوَةٍ تُبَاعِدُكَ مِنِّي فَاهْجُرْهَا، وَاعْلَمْ أَنَّكَ مِنِّي بِمَكَانِ الرَّسُولِ الْأَمِينِ، فَكُنْ مِنِّي عَلَى حَذَرٍ، وَاعْلَمْ أَنَّ دُنْيَاكَ مُؤَدِّيَتُكَ إِلَيَّ[5]، وَأَنِّي آخُذُكَ بِعِلْمِي. فَكُنْ ذَلِيلَ النَّفْسِ عِنْدَ ذِكْرِي، خَاشِعَ الْقَلْبِ حِينَ تَذْكُرُنِي، يَقْظَانَ عِنْدَ نَوْمِ الْغَافِلِينَ.

---

[1]: وفي نص الكليني (من كتاب كلمة الله صفحة ٣٩٠): يا عيسى ! اهرب إليّ مع من يهرب، من نار ذات لهب، ونار ذات أغلال وأنكال، لا يدخلها روح، ولا يخرج منها غم أبدًا، قطع كقطع الليل المظلم، من ينج منها يفز، وليس ينجو من كان من الهالكين، وهي دار الجبارين والعتاة الظالمين، وكل فظ غليظ، وكل مختال فخور.

[2]: وفي نص الكليني (من كتاب كلمة الله صفحة ٣٩١): يا عيسى ! بئست الدار لمن إليها ...

[3]: وفي نص الكليني (من كتاب كلمة الله صفحة ٣٩١): يا عيسى ! كن حيثما كنت على إقبالي، واشهد على أني خلقتك وأنت عبدي وأني صورتك وإلى الأرض أعيدك.

[4]: وفي نص الكليني (من كتاب كلمة الله صفحة ٣٩١): ولا تشبهن لاهيا ...

[5]: وفي نص الكليني (من كتاب كلمة الله صفحة ٣٩١): واعلم أن دنياك موديتك ...

يَا عِيسَى هَذِهِ نَصِيحَتِي إِيَّاكَ وَ مَوْعِظَتِي لَكَ، فَخُذْهَا مِنِّي وَ إِنِّي رَبُّ الْعَالَمِينَ. يَا عِيسَى إِذَا صَبَرَ عَبْدِي فِي جَنْبِي، كَانَ ثَوَابُ عَمَلِهِ عَلَيَّ، وَ كُنْتُ عِنْدَهُ حِينَ يَدْعُونِي، وَ كَفَى بِي مُنْتَقِماً مِمَّنْ عَصَانِي. أَيْنَ يَهْرُبُ مِنِّي الظَّالِمُونَ ؟

يَا عِيسَى أَطِبِ الْكَلَامَ، وَ كُنْ حَيْثُمَا كُنْتَ عَالِماً مُتَعَلِّماً. يَا عِيسَى أَفِضْ بِالْحَسَنَاتِ إِلَيَّ، حَتَّى يَكُونَ لَكَ ذِكْرُهَا عِنْدِي، وَتَمَسَّكْ بِوَصِيَّتِي، فَإِنَّ فِيهَا شِفَاءً لِلْقُلُوبِ.

قال أمير المؤمنين وسيّد الوصيّين الإمام عليّ عليه السلام:

إِلَيْكِ عَنِّي يَا دُنْيَا فَحَبْلُكِ عَلَى غَارِبِكِ، قَدِ انْسَلَلْتُ مِنْ مَخَالِبِكِ، وأَفْلَتُّ مِنْ حَبَائِلِكِ، واجْتَنَبْتُ الذَّهَابَ فِي مَدَاحِضِكِ.

أَيْنَ الْقُرُونُ الَّذِينَ غَرَرْتِهِمْ بِمَدَاعِبِكِ، أَيْنَ الأُمَمُ الَّذِينَ فَتَنْتِهِمْ بِزَخَارِفِكِ، فَهَا هُمْ رَهَائِنُ الْقُبُورِ ومَضَامِينُ اللُّحُودِ.

واللَّه لَوْ كُنْتِ شَخْصاً مَرْئِيّاً وقَالَباً حِسِّيّاً، لأَقَمْتُ عَلَيْكِ حُدُودَ اللَّه فِي عِبَادٍ غَرَرْتِهِمْ بِالأَمَانِيِّ، وأُمَمٍ أَلْقَيْتِهِمْ فِي الْمَهَاوِي، ومُلُوكٍ أَسْلَمْتِهِمْ إِلَى التَّلَفِ، وأَوْرَدْتِهِمْ مَوَارِدَ الْبَلَاءِ إِذْ لَا وِرْدَ ولَا صَدَرَ.

هَيْهَاتَ مَنْ وَطِئَ دَحْضَكِ زَلِقَ، ومَنْ رَكِبَ لُجَجَكِ غَرِقَ، ومَنِ ازْوَرَّ عَنْ حَبَائِلِكِ وُفِّقَ، والسَّالِمُ مِنْكِ لَا يُبَالِي إِنْ ضَاقَ بِه مُنَاخُه، والدُّنْيَا عِنْدَه كَيَوْمٍ حَانَ انْسِلَاخُه اعْزُبِي عَنِّي فَوَ اللَّه لَا أَذِلُّ لَكِ فَتَسْتَذِلِّينِي، ولَا أَسْلَسُ لَكِ فَتَقُودِينِي.

وَأَيْمُ اللهِ - يَمِيناً أَسْتَثْنِي فِيهَا بِمَشِيئَةِ اللهِ - لأَرُوضَنَّ نَفْسِي رِيَاضَةً تَهُشُّ مَعَهَا إِلَى الْقُرْصِ إِذَا قَدَرْتُ عَلَيْهِ مَطْعُوماً، وَتَقْنَعُ بِالْمِلْحِ مَأْدُوماً، وَلأَدَعَنَّ مُقْلَتِي كَعَيْنِ مَاء نَضَبَ مَعِينُهَا، مُسْتَفْرِغَةً دُمُوعُهَا.

www.taqimusawi.com
حقوق النشر محفوظة للمؤلف